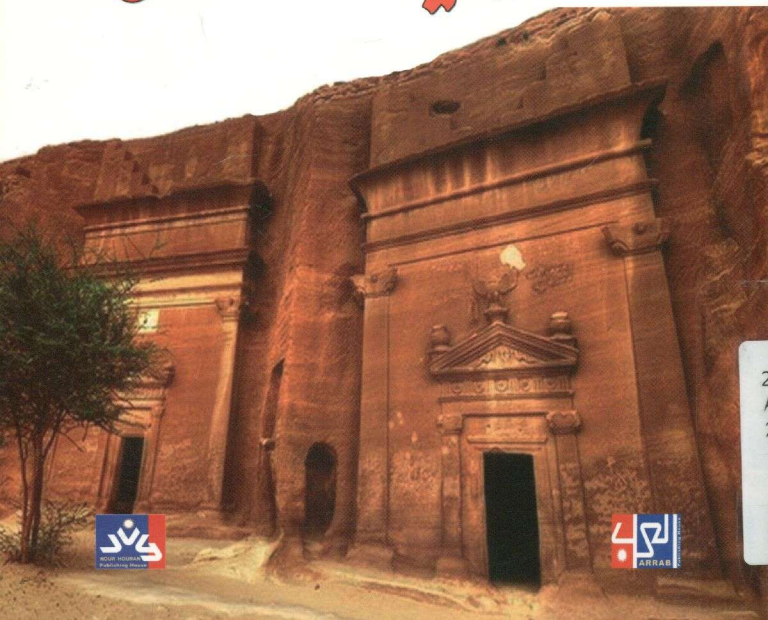


عباس العزاوي

الكاكائية في التسايف



الكلاكية في التاريخ

الكاثنية في التاريخ

المحامي
عباس العزاوي

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

2016

ISBN 978-9933-543-05-1



دار نور حوران

للإشاعة والنشر والتوزيع

دمشق - سوريا - ص. ب. 5658

هاتف: 0096315715430

0096315710957

فاكس: 00963157198425

جوال: 00963933329555

00963941329555

NOURPUBLISHING@GMAIL.COM



دار العرب

للإشاعة والنشر والتوزيع

دمشق - سوريا - حلبوني الجادة الرئيسية

هاتف: 00963112247432

فاكس: 00963112247922

جوال: 00963942247432

00963933406321

00963940455593

daralaraab@yahoo.com

المحامي عباس العزاوي

الكامايتية في التسايرخ



دار نور حوران



دار العرب

للدراسات والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه

نظرة عامة

العقائد غريزية، لا تخلو أمة من دين وعقيدة وضروب العبادات المشهودة والرسوم الدينية في مختلف الأدوار والأقطار ظواهر تنبئ عن مكنون الفطرة، وميلها النفسي، وتصور حاجة الانقياد والإذعان للقدرة الخالقة.

وبينما كثيراً أن نتطلع إلى ما أظهرته الأمم والأقوام من شعور، وما كشفتته عن مكنون الغرائز أوهناك نشاهد تدخلات من الزعماء ورؤساء الدين في تسيير الجماعات استفادة من هذه الغريزة وتوجيهها أو استغلالاً لما ظهر في رجالهم من الكمال، فاتخذوهم قدوة أو طريقاً مقبولاً في سلوكهم، بل مالوا إلى عبادة أشخاصهم، فصار ذلك ديناً استولى عليهم الحب والإعجاب بهم، ثم وقفوا عندهم، فنسوا أصل العقيدة، أو غفلوا عنها، فصار الحب ديناً.

وجهدنا مصروفة إلى معرفة ما في قطننا من عقائد وأديان وطرق، وإلى تصوير هذا الشعور، وتعيين أوضاعه وإبداء أشكاله؛ ليكون أقرب إلى تفهمنا بتدوين الظواهر عن هم أكثر اتصالاً بنا دون أن نعرف جميع ما هنالك من عقائد الأمم والأقوام، بل قد يكون ذلك غير متيسر، أو صعباً جداً.

حاولت كثيراً أن أرفع اللبس والإيهام عن نحلة معروفة في أنحائنا، كثرت فيها الأقوال وزادت التقلبات أعني بها (الكاكائية) لما يحوطها من لبس وغموض، ولا يزال أهلها في تكتم وتحف، وطالما شاع عنها أمور، أو كثرت تشنجات، فلم نكلف أنفسنا التحقيق عن صحتها، فزلت أقدام، وتاهت في خيالات وأوهام، حاولت أن أزيل الغموض عنها ما استطعت، فراجعت جماعة من أهل هذه النحلة، والتلمست

آثارها وتحريث قدر المستطاع تاريخها فيسر مجموع لا أرى أن أطرحة جانباً أو أهمله، ولعل فيه ما يُميط اللثام عن بعض الغموض.

كانت قد دخلت العراق عقائد كثيرة، أو تكونت فيه، فبحث العلماء من القديم عنها، فلم يتركوا قولاً لقائل، ولكن جمود الفكرة في الأيام الأخيرة وانحطاط البحث العلمي، وركود التحري حال دون الدوام، وأدى إلى إغفال هذه المعرفة المستمرة عند كل تجديد يطرأ، أو تبدل يحدث، ونشأت عندنا طرق أو نحل جديدة لا يدرى وجه اتصالها بباضيتها وما صارت إليه من تطور، وتباعد، فعندنا لا نستطيع أن نعرف أكثر من اسمها، ونكتفي بقولنا: (متكتمة)، أو أن أربابها يدعون أنها (سر) لا يجوز لهم أن يوضحوا به.

وهذه النحلة لا تقل اهتماماً عما يتطلع إليه من أمر (اليزيدية) سواء في غرابية عقائدها أو غموضها وإبهامها فهما على طرفي نقيض في الاتجاه.

فأريد أن أتناول ما يعين مكانتها التاريخية، وتطورها، وسائر أوصافها بقدر ما تسمح الوثائق، والعراق يجب أن نعرف أقوامه، وتقاليده شعوبه، وعقائده أهليه، لئلا تبقى فيه خواف، أو مجهولات لا عذر لنا في تركها أو جهلها بداعي أن أربابها لا يوضحون بسرّ، فالعجز مزرٍ فيما تستطيع القدرة الوصول إليه، وإذا كان يعذر قوم بالجهل، فنحن بين ظهرائهم فلا ينبغي أن تغفل أمرهم ونلدون على أنفسنا هذا الجهل، أو نسجل العجز.

وعلى كل رأيت أن أتناول هذا الموضوع، وأحاول النجاح فيه، وإن كان غير مكفول أفإذا كان ما أقدمه رغبة الأفاضل، فذلك المأمول، وعمل المرء لا يخلو من نقص، وما لا يدرك كله لا يترك جله، دونت ما عرفته، وأنا في حالة تيبث المادة، وقد صعب المهمة أنني لم أجد من كتب فيها في هذه الأيام بصورة مفردة مستقلة مستندة إلى أصل علمي، رغبتني مصروقة إلى رفع الغموض ما استطعت، وليكن أول جهد، تضاف إليه جهود أخرى متوالية، وتتبعات جديدة من كتابنا حتى ينضح، ويتم المطلوب، وقد قضى ما عليه من بلغ الجهد، ومن الله التوفيق.

الكاكائية إجمال عنها

هذه النحلة مشهورة الاسم، مجهولة الرسوم والتقاليد، بل هي (عدوة الرسوم) غير معروفة التعاليم، أو المعالم، ولا يمر باحث أو سائح بلواء كركوك إلا يعلم أن هناك طائفة (الكاكائية)، ولا يكاد يسأل عنها إلا ويسمع التشنيع عليها والتنديد بها ممن لم يكونوا منها، ولكنهم يعلنون أنهم مسلمون، وغالبهم منتشر في أنحاء كثيرة في العراق أو مجاور له، ولا نشاهد لها ظواهر يصح أن تنسب إليها، أو تعرف بها.

ولفظه (كاكائية) كردية مأخوذة من (كاكا) بمعنى الأخ، والنسبة إليها (كاكائي) والنحلة يقال لها (كاكائية)، يقولون في سبب تسميتها: إن أحد رؤسائها المؤسسين لها كان من السادة البرزنجية في أنحاء السليمانية، فبنى تكية في قرية برزنجية وضعت لسقفها العمود، ولكنها قصرت عن جدران البناء، فقال لأخيه: مدها أيها الأخ (كاكا) ومن ثم مدها فطال الخشب كرامة له، وصاروا يدعون به (الكاكائية) لهذه الحادثة.

وهذا قد يقصد منه التعمية، أو تشويش الغرض، أو يكون السبب النسيان، وفقدان التوجيه الصحيح، في حين أنها يراد منها على ما علمناه من نصوص كثيرة أنها (الأخية) الطريقة المعروفة في بلادنا، وفي إيران وفي الترك، وتنسب إلى (أخي) وأصلها أن كل واحد من أرباب هذه الطريقة يدعو الآخر من جماعته به (أخي) بالإضافة إلى ياء المتكلم، ويعنون أن أصحاب هذه الطريقة إخوة، وأصلها التمسك بآية ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (سورة الحجرات: 10)، والسير بمقتضى هذه الطريقة، وعلى كل تستند إلى أصل أنها (طريقة الفتوة) يتصلون بها، والعلاقة محفوظة كذلك...

وفي العراق شاعت عندنا في العصور الأخيرة، وصارت تعرف بلفظها الكردي (كاكائية)، وكانت تستعمل في العراق بلفظها العربي (أخي)، ولا تزال في كركوك محلة تدعى به (أخي حسين) ويعرفون بالأخية من أيام المغول، وجاءت أعلام

أشخاص معروفة بـ (أخي فلان)، ويرجع ذلك إلى عهد المغول، و(كاكائية) عرفت في العصر المغولي منذ العصر السابع، وردت في النصوص التاريخية مثل مبارز الدين كك، وحسام الدين كك، ولم نر ما يتجاوز العصر السابع في القدم، ولم نعثر على نص سابق لهذا التاريخ كطريقة معروفة بهذا الاسم.

عرفت كتحلة في القرن العاشر والحادي عشر الهجري وصل إلينا خبر عنها أيام البرزنجي، ومن قبله صاحب (كتاب النواقض)، ولا يقطع بتاريخ ظهورها كعقيدة بهذا الاسم، كانت معروفة قبل هذا التاريخ بشكل طريقة صوفية.

وقبل هذا وذاك تعرف بـ (الفتوة) المذكورة في طبقات الصوفية وكتاب (الفتوة للسلمي)، وفي رسالة القشيري، وفي مؤلفات كثيرة، وشاعت في العراق أكثر أيام الخليفة الناصر، ولما كانت (مبادئ الفتوة) تستدعي أن يكون أتباعها (إخوة)، وكل واحد يدعو الآخر بـ (أخي)، شاعت بأشهر وصف لها سواء بلفظها العربي أو الكردي، فصارت تدعى بأعم أصولها وأساساتها، فقيـل: (أخية) أو (كاكائية)، وأهمـل لفظ الفتوة.

وفي هذا ما يعيّن مجراها التاريخي المعتاد بصورة مجملـة، وهنا نقول: هل حافظت على سيرتها الأولى كما حافظت على موضوعها ووصفها؟ وبماذا كانت تعرف قبل هذا؟

المسألة فيها نظر، لما أصابها من تحول وتطور فعادت لا تشبه أصلها، ولا هناك تقارب، بمباحث تكشف عما لحقها من التطورات والتحولـات، ولا يكفي هنا الإجمال، وإنما يمينا الإيضاح وإن كانت الإشارة تغني المتبع، والقراء ليسوا بمثابة واحدة، كما أن تطوـر حالاتها المختلفة مما أبـعدها عن أصلها، فلم نحافظ عليه كثيراً، أو لا يصح أن ترجع الآن إلى ما نجمت منه مما أبعد شقة التقريب، صار لا يلتفت إلى وجهة الاتصال بسهولة، فكان تدقيق تاريخها بتطوراتها أمراً لازماً ومهماً جداً.

¹ يأتي الكلام عليه.

لا يعرف عنها اليوم أكثر من التغني ببعض الأشخاص المشاهير، والاحتفاظ ببعض أشعارهم مما يسمى عندهم بـ (أنفاس) : أو (بويروق)، خرجت عن أصل الطريقة، والباحث مهما توغل في التحقيق، أو اتصل بأهلها لا يستطيع أن يصل إلى نتيجة، ولا يجد آثاراً كافية للتتبع، عاشرت أهلها، وصاحبتهم مدة، وتذوقت ما عندهم من شعر، وعلمت ما يشغل أفكارهم من آراء تصوفية، وأشعار لأذة تندمج تحتها، وتنطوي خلالها آراء تلك الطريقة أو النحلة.

والحاصل صاحب كثيرين منهم، وصرت ألحظ معقداتهم في مختلف العصور أثبت ما وجدته لمعرفة تاريخ هذا التطور، وهؤلاء لا يودون الاحتكاك بالمجتمع ولا الرغبة إلى المعتقد ولا الدعوة له، بل اعتراهم الحمول لمدد متطاوله فأدى بهم إلى نسيان الكثير، ولم يحفظوا إلا بأساسات قليلة يفسرها ما في كتب التصوف، وفي ذلك ما يعين أنهم لم يظهروا علناً ووقفوا عند حدودهم، فلم يتجاوزوا الأمر إلى التبليغ والدعوة، وهو الحل الوحيد لتكتمهم.

فإذا أضيف إلى ذلك ما لاقوه في سبيل الاحتفاظ بنحلته من وقائع مؤلمة علمنا درجة ما التزموه من الاختفاء، فأدى الضغط إلى التكنم الكثير، وما حوادث (الطالبانية) عنا ببعيدة، يخشون الإفساء إلى حد ما بحيث صارت الظنون تتضارب، وتزيد التقولات كثيراً وتقوم حولهم الأوهام والشبهات، كما نرى نفس التكنم في (اليزيدية) وأرباب المبادئ الضعيفة السائرة للانقراض، وهذا ساق إلى الجهل بالعقائد لمن عاش في قطرنا، فصرنا نتلمس الطرق الكثيرة للمعرفة الصحيحة، فلم نجد إلا بعض الظواهر.

² يراد بها المقطوعات الشعرية التي ينطق بها شيوخهم من شعر تصويفي. وهي من مختاراته.

³ رؤساء الطريقة القادرية في تلك الأنحاء، راجع العناثر الكردية في العراق. ص 228.

أقوال المعاصرين في الكاكائية

هذه النحلة مشهورة في العراق، دونت فيه آثار كثيرة منذ العصر العباسي، وكانت تدعى (الفتوة)، انتشرت في الأناضول باسم (الأخية) انتشاراً هائلاً، وكذا في أقطار أخرى، وشاعت عندنا بهذا الاسم أيضاً من طريق الترك، ومن طريق إيران، ثم تحولت إلى (كاكائية)، فهي معروفة من أمد بعيد، ونحاول أن نتحرى أوضاعها، وتاريخ ظهورها في العراق بعد أن نسير بنظرة سريعة ما قاله المعاصرون، ثم نرجع إلى الماضي البعيد والقريب لتحصل لنا فكرة عن (الكاكائية في التاريخ) ومن هنا نتعين فكرتنا فيما نعلمه.

1- جاء في مفصل جغرافية العراق ما نصه:

قبيلة الكاكائية خاضعة لنفوذ السادة البرزنجية، تسكن الساحة الواسعة بين جبل برادان، وخاصة جايي (جدول خاصة)، وتعيش على الزراعة، وعدد بيتها يبلغ زهاء ألف وخمسمئة بيت. انتهى.

والبرزنجية في أنحاء السليمانية وساداتهم يتسبون على قرية برزنجة، ولهم قرابة قديمة مع السادة رؤساء الكاكائية، إلا أن المعتقد متغابر، ولا تزال بقاياهم في السليمانية في (خويلة) إلا أن الكاكائية لم تكن قبيلة، وإنما هي نحلة، بل طريقة، كانت واسعة النطاق.

2- قال شمس الدين سامي في قاموس الأعلام في مادة أخية (كاكائية):

ظهرت هذه الطائفة (النحلة) في أواخر الدولة السلجوقية وفي الأناضول، كانوا في الأصل من طرق التصوف، ولهم رئيس من أنفسهم يدعو للإخاء البشري، يحض على التعاون بينهم وبين سائر الناس، وبعد ذلك واجباً مترتباً، استمروا على هذه

⁴ مفصل جغرافية العراق لفخامة الأستاذ السيد طه الهاشمي: ص 442.

⁵ عشائر العراق الكردية.

الطريقة مدة، يراعون فيها سلوك الدروشة (التصوف) مكتفين بذلك، ثم نهض بعضهم بأمل أن يؤسس حكومة في (الأناضول) استفادة من تزلزل وضع السلجوقية واضطراب حالتها، فتكونت منهم بعض الحكومات الصغيرة في أنحاء أنقرة وسيواس، وإن السلطان مراد الحداوندكار العثماني تغلب عليهم ودمرهم، واستولى على ممالكهم الواحدة تلو الأخرى، فدخلت في حوزته. انتهى.

ولا يزالون يلهجون بفكرة الإخاء حتى اليوم، ولا نجد آثاراً عملية واضحة في ذلك وإن كانوا متراسين متكاتفين فيما بينهم، والملاحظ أن الأخية هنا يراد بهم (الكاكائية) قطعاً.

دخلتهم بلا ريب أيام الخليفة الناصر لدين الله العباسي، كان تزوج باللهجة السلجوقية ولما توفيت بني لها رباطاً بجانب تربتها، عرف أخيراً بتكية خضر إلياس البكتاشية، فانتشرت هذه الطريقة عند سلاجقة الروم، واشتهرت بأهم وصف لها وهو الأخوة.

3- جاء على الأخية (الكاكائية) في كتاب (لغات تاريخية وجغرافية) ما ترجمته:

« الأخية سلكوا (طريق الفتوة) وعقدوا الأخوة، فكان لقبهم (الأخية) وهم طائفة (نحلة) معروفة، كانوا داخل الأناضول، والتزموا طريقة صوفية، وسترُوا أحوالهم عن الأغيار، واشتغلوا بالطاعات والعبادات، وصاروا يمدون أبناء جنسهم بمعاونات ومساعدات، هذا كان دينهم. انتهى ».

هذه النصوص مجملة لا تبين سوى وضعهم الظاهري والسياسي، ولم تقرر حقيقة طريقتهم، أو نهج تصوفهم، إلا أن النص الأخير عيّن أنها (طريق الفتوة) وعقد الأخوة، فبصر بأصلهم نوعاً، وفي العراق يدعون أنهم على هذا الطريقة، وأنهم أصحاب الإخاء البشري، وكثيراً ما أسمع من الأديب الشاعر هجري دده أنه يرمي إلى ما يقرب من هذه الأغراض إلا أن الطاعات والعبادات غير مشهودة فيهم.

⁶ قاموس الاعلام، ج 2، ص 802.

⁷ لغات تاريخية وجغرافية، ج 1، ص 106.

ومن ثم يجب أن نرجع إلى الكتب التي تعني بـ (الفتوة)، وكذا نلاحظ المدونات عن (الأخية)، والنصوص التاريخية الموضحة لإحدى الجهتين، وبهذا نميط اللثام عن غيا حقيقة هذه النحلة، فنجمع ما رأيناه مشتتاً وتؤلف ما كان مفرقاً مبعثاً في بطون الكتب، ونقابل ذلك بما عند هؤلاء (الكاكائية) الموجودين بين ظهرانيها.

ونشير هنا إلى أن هذه النحلة توسعت في الأناضول قبل أن تتكون الحكومة العثمانية وتكاثر أتباعها لاسيما أواخر الدولة السلجوقية، بل من أيام الخليفة الناصر لدين الله كما تقدم، فانتشروا، وزاد خطرهم، وكثرت ثوراتهم، لما رأى الناس من غوائل، وقاموا على الدولة السلجوقية، وشوشوا أمرها، وكان أثرها على العوام كبيراً جداً، ذاعت بين الجماهير كسائر الطرق العديدة، ذلك ما دعا أن نلتمس (تاريخ الفتوة) أولاً، ثم (تاريخ الأخية)، وبعد ذلك نعين مكانتها في العراق باسم (الكاكائية) فنوضح تاريخها، وما حافظت عليه من طريقة، أو احتلال واضطرب فيها.

ويتبادر إلى أذهاننا أن هذه هل كان أصلها في الأناضول فانتشرت في الأطراف الأخرى، أو في العراق أصلاً أو في قطر آخر فوجدوا تربة صالحة لنموهم في العراق؟.

نريد أن نعرف ذلك، وليس الموضوع محل تفاخر في القدم والتقدم في الزمن، ومدار البحث المعرفة، ولا يهمننا (شرف المنبت)، نحاول أن نقف على محل ظهورها وانتشارها، ونعين مكانتها اليوم عندنا، فيكون جوابنا اليوم تعريفه بحقيقة هذه الطريقة، وبما عرض لها، ودرجة تأثيرها بالمجاورين حتى اكتسبت حالتها المنشودة.

هذا، ونلخص ذلك بقدر الإمكان، ونورد النصوص، وتتصل بالغرض اتصالاً مباشراً فنذكر أوضاع أهلها، ومكانتهم التاريخية، وأثرهم السابق، وما هم عليه في الحاضر إلا أن مباحثنا لا تتجاوز حدود الإيجاز.

الكاكائية في التاريخ

1- الفتوة:

شاع في هذه الأيام ذكر (الفتوة)، ولا يدري كثير ونأصلها، ولا كيفية تولدها في الماضي، لانتها الألسن، ومن الضروري إيضاح مدلولها في مختلف العصور لاسيما بعد أن علمنا أنها أصل (الكاكائية) وبالنظر لتلقيها الحاضرة بفرق بين معناها في الماضي وفي الحاضر باعتبار أنها كانت (طريقة تصوف)، من شأنها تدريب المرء على العمل الصالح وتنشيطه في الإغاثة والمساعدة لمن يحتاجها.

كان الصوفية في عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم لا يعرفون غير الزهد، والعمل الصالح فلا رسوم ولا مراسيم، وأنظارهم متفاوتة فيه فظهر أكابر منهم نالوا المكانة اللاتقة، واكتسبوا المحل الرفيع في القلوب، ولم يكن طريقهم أكثر من القيام بواجبات دينية وأعمال صالحة كالعبادات وأعمال البر والخير، ثم تغلبت مؤخراً أسور الزهد وحدها والانقطاع إلى العبادات خاصة، وكاد الصوفية يكونون عالة وكلا على الناس، فراج سوقها فيمثل هذه، ثم دب الغلو، ودخلت (الفلسفة التصوفية) أو (النحل الباطنية) فأفسدت صفوة العبادة، وأدخلت فيها عقائد زائغة.

في هذا الوقت جلب الأنظار ودعا إلى الالتفات صنف آخر أهدب نفسه للعمل، وسعي لمعاونة المنكوبين والمعوذين أو إنقاذ من تعرض لخطر كبير، وجعل طريقته (الفتوة) نشاطاً فيما يضع، أو يعود بالخير العميم على المجتمع، تحقيقاً للأغراض المقصودة من آية ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (سورة البقرة: 3).

وخير الناس من ينفع الناس، فكان هذا الصنف صاحب عزم وحزم، كأنه شاب وإن كان كهلاً أو شيخاً، لا يتردد من إساءة المعونة والقيام بعمل البر، لا يبغي

وراء ذلك ربحاً أو نفعاً سوى رضوان الله تعالى، واكتساب الأجر، ﴿إِنَّمَا نُنْطِِعُكُمْ لَوَاجِهٍ إِلَهَ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [سورة الإنسان: 9].

وصار يطلق على هؤلاء (أهل الفتوة)، وأساسهم الأخوة الدينية، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات: 10]، والحب في الله ومراعاة الخير في سبيله، أو العمل الصالح.

والحق أن هذه الطريقة قامت بأعمال باهرة، كان حث الإسلام عليها تنفيذاً لأوامره، وهي طريقة إسلامية نافعة في سلوكها، ومن واجب كل مسلم أن يقوم بهذه الأعمال، وكانت دعوة هؤلاء دعوة إلى القرآن، وأوامره، واجتناب نواهيه، فكانت لهم الميزة في هذه الأوصاف الدينية المرغوب فيها، حصروا مشاغلهم بها وقصروا جهودهم عليها، وهذا منتهى الزهد الرضا، وأقصى حدود العبادة المقبولة، والبذل في سبيله تعالى أولم يقصروها على العمل لأمر المسلمين، بل إنقاذ كل من وقع في ورطة، أو مساعدة كل من كان في حاجة إلى المساعدة، وفي آية ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [سورة آل عمران: 92]، والجهود المبذولة خير جهود وأجل ما ينفق، وكان فعل الخير شأن هؤلاء (عمل الصالحات).

يرى الفتوة في أقدم أزمانها نشاطاً فيزهد، وعملاً مبروراً في مساعدات عظيمة لمن هو في حاجة وضرورة إليها دون تفریق بين طبقات الناس، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة: 2].

وفي حالاتهم هذه لم يتهانوا في العقيدة ولا في العبادة، وعمل الخير عبادة ولا يؤدي إلى الاكتفاء به دونها.

ومن أشهر رجالها الساعين لنشرها، والدعوة إليها (الشيخ عبد الرحمن السلمي)، أقام صرح هذه الطريقة، وكان من أكابر رجالها، وقدوة العصور التالية،

التفت إلى ناحية عملية في الشريعة الغراء هي الأولى بالرعاية من سائر الطرق التي من شأنها أن تجعل المرء عاطلاً، والعطالة أمر سهل يوسع كل أحد أن يتولاها، ولكن المشقة كل المشقة في عمل الخير، فكان لهذه الطريقة نتائج عملية طيبة، إلا أنها لم تكن وحدها الدين، وإنما هي مطلب من مطالبه (عمل الخير)، وهكذا (القشيري) في رسالته عقد فصلاً خاصاً بها مهماً جداً في تفهم موضوعها وتعريفها، وجميع الصوفية يثنون على طريقة الفتوة ثناء طيباً.

⁸ الرسالة القشيرية، ص 121، أبو القاسم عبد الكريم الشقيري المتوفى سنة 465 هـ.

الفتوة في عهد الناصر لدين الله الخليفة العباسي

دامت الفتوة إلى أيام الخليفة الناصر لدين الله تتجاذبها الأهواء والآراء، ونالت تطورات كثيرة وكأنها طريقة جديدة، لم تكن من واجب كل مسلم، بل نرى الإسلام قائماً على أساسات مهمة رأت هذه الطريقة لزوم متابعة بعضها، والخليفة الناصر لدين الله أراد أن يوجهها وأن يستغل وضعها السياسي وميل الناس إليها، فأيدها، وأكبر شأنها، فزادت عنايته بها، ونظم شأنها، فكانت تؤخذ عنه (سراويل الفتوة) وتعاليمها، فصارت طريقة لها رسوم وأحكام، ومؤرخون عديدون في العراق تعرضوا لذكرها في أيامه.

قال ابن الأثير: «وجعل - الخليفة الناصر - همه رمي البندق، والطيور المناسب، وسراويلات الفتوة، فأبطل الفتوة في البلاد جميعها إلا من يلبس منه سراويل يدعى إليه بها، وليس كثير من الملوك منه سراويلات الفتوة، وكذلك أيضاً منع الطيور المناسب لغيره إلا ما يؤخذ من طيوره، ومنع الرمي بالبندق إلا من ينتمي إليه، فأجابه الناس بالعراق وغيره إلى ذلك، فكان غرام الخليفة بهذه الأشياء من أعجب الأمور. انتهى».

وهكذا ذكر أبو الفداء «وابن الطقطقي في كتابه (الفخري)»، وأوسع من تلك في ذلك صاحب مسالك الأبصار قال:

«وفي شوال هذه السنة - سنة 922 هـ - كانت وفاة الخليفة الإمام الناصر لدين الله، وكان عمر الناصر لدين الله نحو سبعين سنة، ومدة خلافته 47 سنة، وعمي في آخر عمره وكان موته بالدوستنظاريا، وكان قبيح السيرة في رعيته ظالماً، خرب في

⁹ ابن الأثير: الكامل، ج 12، ص 181.

¹⁰ أبو الفداء: في وقائع سنة 607 هـ.

¹¹ الفخري. ص 287.

أيامه العراق، وتفرق أهله في البلاد، وكان يتشيع وهو منصرف المهمة إلى رمي البندق والطيور المناسب، ويلبس (سراويلات الفتوة)، ومع (رمي البندق) إلا من يتسبب إليه فأجابه الناس إلى ذلك إلا إنساناً واحداً يقال له (ابن السعب)، وهرب لذلك من بغداد إلى الشام، وقد نسب على الإمام الناصر أنه هو الذي كاتب التتر، وأطعمهم في البلاد بسبب ما كان بينه وبين (خوارزمشاه محمد بن تكش) من العداوة لشغل خوارزمشاه بهم عن قصد العراق. انتهى.

وفي ابن الفرات: ... وأجابه الناس بالعراق وسائر الأمصار إلى ذلك ما خلا رجلاً واحداً (هو المذكور أعلاه) رامياً بالبندق من أهل بغداد، فإنه امتنع من إجابته، وهرب من العراق ولحق بالشام، وأرسل إليه الخليفة يرغبه بالأموال الجزيلة ليرمي عنه وينسب في الرمي إليه، فلم يفعل فأنكر ذلك عليه بعض الناس فقال: يكفيني فخراً أنه ليس في الدنيا أحد إلا يرمي عن الخليفة إلا أنا. انتهى.

وفي الجامع المختصر لابن الساعي:

« في هذه السنة - 604 هـ أهدرت الفتوة، وجعل أمير المؤمنين الناصر لدين الله (رضي الله عنه) القبلة في ذلك والرجوع إليه فيه، وكن هو قد شرف عبد الجبار بالفتوة إليه، فدخل في ذلك الناس كافة من الخاص والعام أو سأل ملوك الأطراف الفتوة، فنفذ إليهم الرسل ومن ألبسهم سراويلات الفتوة بطريق الوكالة الشريفة وانتشر ذلك ببغداد، وتفتي الأصاغر إلى الأكابر، وقرأ المنشور عليهم المكين أبو الحسن حمد بن محمد القمي. انتهى ».

وفي تقويم التواريخ:

إن الناصر الخليفة اكتسى لباس الفتوة من الشيخ عبد الجبار. انتهى.

ومن المؤلفات يرسم الناصر لدين الله:

¹² تقويم التواريخ: سنة 578 هـ.

¹³ الجامع المختصر لابن الساعي. ص 223.

1- النور اللامع، في خزانة أبا صوفيا رقم 231، وفي خزانة كوبريلي رقم 861 ومؤلف نجم الدين منكوبرس بالنقلج (بالنقلج) التركي الإمام الناصري.

وله الحاوي في الفروع، ذكره في كشف الظنون، وقال لنجم الدين أبي شجاع وأبي الفضائل بكبرس التركي الحنفي المتوفى سنة 652 هـ، وجاءت ترجمته في قطلوبغا في (تاج التراجم)، وفي منتخب المختار في ص 46 مزوجة بترجمة بيسرس العديمي المتوفى سنة 713 هـ، بحلب (المذكور في الشذرات، ج 6، ص 32 ومثله في السلوك، ج 2 قسم 1 ص 132 والدرر الكامنة، ج 1، ص 501).

وأما منكوبرس فإنه ابن عبد الله التركي الناصري أبو الفضل وأبو شجاع الحنفي الفقيه الأصولي، ويعرف بنجم الدين الزاهد وبالحاجر قول الإمام الناصر لدين الله كما في منتخب المختار، وجعلت ترجمته في الجواهر المضئية، ج 1، ص 170 فكانت متداخلة مع غيرها سهواً.

وغالب الآخذين لهذه الطريقة يتسمون إلى الشهاب عمر السهروردي، وطريقته طريقة الفتوة شاعت من طريق أهل السنة، وعرفت باسمه وأغفل أمر الفتوة.

2- رشف النصائح للسهروردي، رده على الفلسفة المادية اليونانية.

3- وله رسالتان في الفتوة.

4- تحفة الوصايا، في الفتوة ألفها أحمد بن إلياس النقاش من حرثرت (خربوط) في الأناضول، وفيها يذكر سلسلة الفتوة من الإمام علي إلى الخليفة الناصر العباسي، قال في مقدمتها:

«أحزاب الفتوة كانوا تائهين، سلكوا طريق الضلالة، وحادوا عن سبيل الهداية وتأولوا للفتن والابتداع والحيل والاختداع، غلبت عليهم الشقاوة، وتحكمت في بواطنهم الضلالة، وكثر مكرهم، وقلت معرفتهم، بأحكام الفتوة، ومالوا إلى المكابرة والمجادلة إلى أن شرف الله تعالى الفتوة بكرمها، وأعلى منارها وعظمها (بسيدنا)، الناصر لدين الله أمير المؤمنين، إمام المشارق والمغارب، لا إمام للمسلمين

سواه، ولا قبله للدين إلا إياه، فشي بنيانها ونهد أركانها، وألف أحزابها، وأرشد طلابها، أظهر أنوارها، وأوضح برهانها.

فبطلت (اليوت) إلا ما شيده، وتعطلت تلك المعادل إلا ما اختاره واصطفاه، فانتشر (علم الفتوة) بعد أن كان منتكساً، وتميزوا على من سواهم من (أزاب الفتوة) بعد أن كانوا فرقاً، ففرض العبد الفقير (أحمد بن إلياس النقاش) على نفسه نظم هذه التذكرة، وانتخب من التأليف الجواهر، والدرر والنوادر، والغرر، يرسم وفاق أمر سيدنا ومولانا الملك المعظم، أبي الحسن (علي) نجل، أمير المؤمنين خلد الله ملكه، فانتخب من كتابه المسمى (عمدة الوسيلة) هذه التذكرة ليقرّب تناوله ويسهل حفظه، ويخفّ درسه، وساه (تحفة الوصايا). انتهى¹⁴.

وفي هذا ما يعيّن اضطراب الأفكار فيها بين متصر لها أو ناظم عليها، وتنوع اتجاهاتها حتى سيرها الإمام الناصر على نهج، وعلى كل حال كان يعد من المجددين لها، والمصلحين لطريقتها، ومن هنا نعلم أنها كانت منتشرة في أنحاء العالم الإسلامي ودخلها ما يدعو للنفرة منها، وقد استغلها كثيرون.

والاتصال بسلاجقة الروم مشهود في الرواج وفي المؤلفات في الفتوة وقبولها من الخليفة، والمضي بموجها، فتأسست عندهم وتمكنت لديهم، والرباط السلجوقي في بغداد من تلك المؤسسات للفتوة أو كان من رجالها الشيخ عمر السهروردي، بل من أكابر شيوخها.

وبعد الخليفة الناصر دام الانتباه إلى الفتوة من كثيرين من المشاهير حتى آل إلى آل معية، ووصل الأخذ إلى السيد تاج الدين محمد النسابة قال في عمدة الطالب:

« كان يتولى (لباس الفتوة)، ويعتزى إليه أهله، ويحكم بينهم بما يراه فيطيعون أمره، ويمثلون مرسومه، وهذا المنصب ميراث لآل معية، ويتقسم الناس بالعراق أحزاباً، كل يتسمي إلى أحدهم، فلما مات النقيب فخر الدين بن معية والنقيب نصر

¹⁴ أيام صوفية رقم 2049: تحفة الوصايا في مجموعة بهذا الرقم.

الدين بن قريش بن معية لم يبق له - للسيد تاج الدين - معارض، ولم يكن عوام العراق ولا خواصهم ليسلموا ذلك الأمر إلى أحد من غير آل معية ما دام من هم أحد فكيف بالنقيب تاج الدين، وكان إليه إلياس خرقه التصوف من غير منازع في ذلك لا يلبسه أحد غيره أو من يعزي إليه وتوفي بنات. انتهى¹⁵.

وفي روضات الجنات تكرار ترجمته¹⁶.

وهذه طريقة متصوفة الشيعة الأخذين بالفتوة الساترين عليها كما أن السهروردية جاءت من طريق أهل السنة.

فتكون انتشرت من طريق أهل السنة وأهل الشيعة معاً، وهي حث على عمل الخير، بما يشمل النصرة والمساعدة، والعبادة والتقوى، وهذا ليس محل خلاف أو اختلاف.

ومن المؤلفات المهمة مجموعة رأيتها في إستانبول في خزانة أيا صوفيا برقم 2049 تحتوي على:

1- لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، أوله: الحمد لله الذي جعل لباس للفتوة واضح الملاحب... إلخ، عرف الفتوة بتعاريف كثيرة، كلها وصايا ونصائح وتفسيرات ويعد من أصول كتب الفتوة.

2- كتاب مرآة المروءات: لعلي بن حسن بن جعدويه.

3- خطبة الشد والتكميل.

4- رسالة مطولة في المروءات والفتوة، أولها: الحمد لله الذي أضفى سجاد

الإحسان على بدن الإنسان... إلخ.

5- كتاب الفتوة:

¹⁵ ترجمته ومؤلفاته في عمدة الطالب، ص 158.

¹⁶ روضات الجنات: حرف الميم، ص 512.

تأليف أخي أحمد المحب ابن الشيخ محمد بن ميكائيل الأردبيلي، أولها الحمد لله
رافع السموات العاليات الأبراج... إلخ، وكله نصائح ووصايا على لسان الفتوة
وتعريفها.

6- رسالة في الفتوة للشيخ شهاب الدين المكي.

ورسائل كثيرة بين فارسية وعربية، ومن الفارسيات (كتاب بحر الفتوة)،
(شجرة الفوز)، و(منظومة) وفي إستانبول كتب كثيرة جداً في الفتوة في مختلف
الخزائن، يطول بنا تعدادها، وفي برلين، والمتاحف البريطانية، وخزانة باريس
الأهلية، وفي الخزانة الظاهرية، ودار الكتب المصرية الشهيء الكثير، وعندى
مخطوطات كثيرة في الفتوة إلا أنها متأخرة، لا تخلو من تعديل مهم في الطريقة.
ومن أجمع من ذكر الفتوة والأخية الفتيان كتاب (الأخية الفتيان) ذيل على رحلة
ابن بطوطة.

ولعل هذا كاف في البيان عن تكوينها ومؤلفاتها، ومشاهير مؤلفيها لا يحصون،
وقد انتشرت في ممالك كثيرة، يفوق الإحصاء والبيان عنها على سبيل الاستقصاء.

الفتوة في العراق

نعلم مما مر يقيناً أن الفتوة تكونت في العراق، وكان طريقها أن يقتدي بأكابر الصحابة للقيام بما يقتضيه الواجب الشرعي من عمل الخير الذي يعود على الناس بالفائدة، وأن التصوف والزهد أو العزلة والاعتكاف لا قيمة له أكثر من أن يعبد المرء ربه عبادة صرفة، وفي هذا صدود عن الأمور الدينية الأخرى من نصرة المظلوم، وإنقاذ المصاب، ومساعدة المعوز، أو قل مراعاة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وفي هذا السلوك انصراف لوجهة عملية مفيدة، يتحتم الاهتمام بها أكثر من غيرها مع القيام بالأعمال الدينية مستحبة دون أن ينهارون في المفروض، وهذا ذو علاقة عامة اجتماعية بالناس، وبالأخوة المبدئية، وعلى هذا يعقدون، ويشدون أي يتناصرون أو يتعاونون، ويكونون جماعة تعمل بالمعروف وتنهى عن المنكر، عهد وعقد على التناصر.

والمبادئ الحققة مرغوبة من كل زمان ومكان، ولا تزال صرخة الحق متبعة، وقول الصدق مرغوباً به، ولكن أهل السوء يريدون أن يصطادوا من الطريق المرغوب فيه، فتراهم يدخلون، ويشوشون الصفوة ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، وكان لهم عدااء مع البشرية، بل مطامع خبيسة، وهكذا دخلها أهل السوء، سؤلوا لها ما شأؤوا، فمضت على طريقة هوجاء، ومشت على نحو ضل سالكه في مواطن كثيرة.

ظن القوم أن الأخوة أو التناصر يكفي، فلم يهتموا بحسن العقيدة من توحيد، وعبادات، بل صاروا لا يفكرون بأمثال هذه في حين أنها السائق الأعظم، وأنها تنفيذ للمبدأ الحق، رأوا أن التكاتف والوحدة تغني عن التوحيد فدخلت خرافات، واعتقدوا بآراء فلسفية من وحدة وجود وأمثالها كعبادة الأشخاص، وأدت إلى أن يقفوا في الهاوية وهكذا تطورت في الأمكنة والأزمنة، وتابعت أحياناً الأهواء.

وكذا ظن الخليفة الناصر لدين الله أنه بإمكانه أن يعيد ملكه ويتزعه من المتغلبة
بهذه الطريقة التصوفية، فلم يقلع، وجاء بالخطر، جعل عمل الخير طريقة سياسية،
فأدى الأمر إلى ما أدى إليه، ثم تنازعها أهل الإبطان ودخلوا باسمها للإفساد.

الأخية في المملكة التركية

من أعظم مواطن الأخية الأناضول، تمكنت فيه، ورأت رواجاً كبيراً وعرفت في العراق بهذا اللفظ فه لجاءت من هناك؟ برهنت التدقيقات على أنها كانت في مختلف المسالك الإسلامية وأن الخليفة الناصر جدد لها، فأخذها السلاجقة عنه، وانتشرت في الأناضول، وكان بعض أمراء المغول أخية، وحصلت على قبول تام، فصارت لا تزامح، فكانت لهذه الكلمة المقبولة، والرأي النافذ، وكل ما يقال فيها عند الترك قليل.

حدث ابن بطوطة بما كان لها من منزلة في نفوس القوم، وزاد في أيامها نفوذها، وتأهبت لتولي الحكم، وحصلت على إدارات كثيرة، وهذه الفكرة الأساسية أوقعتها في الهاوي كما أوقعها إهمال العقيدة أو قبول عقائد زائفة، كانت تلقن بالخفاء.

دامت الفتوة بمعناها الصحيح مدة، ثم تشوشت، قد خفها الإصلاح أيام الناصر، وما بعده ولكنها دخلتها في مختلف الأقطار بعض العناصر الزائفة والتشويشات على أيدي جهلة من جهة ومغرضين من أخرى أفسدوا صفوتها، فلم تقدر أن تؤثر التأثير كله، وصار يدعو إليها كثير من الحروفية والبكتاشية، والباطنية من إسماعيلية وغيرهم في الخفاء، دخلها الناس أفواجا، وبينهم من يحمل ونزعات، ويرعون غايات ونزغات، من شأنها أن تفسد على الناس مرغوباتهم الحقة.

إن الباطنية في بلاد الترك رأوا مقاومة عنيفة في الجهر بعقيدتهم، تستروا بالتشيع ومالوا إلى الإبطان، فانصرفت عن أنها (مبدأ صوفي) يدعو للإخاء، بل انتقلت إلى نحلة أو عقيدة من عقائد الغلاة، وتقمصوا بأثوابها، صاروا يعدون من أكابر رجالها، وبهذا خرجت عن موضوعها، وزادت في الغلو حتى عاد عدد أتباعها بعيدين عن الإسلام في أغليتهم، فضلاً عن أن يكونوا من أرباب الطرق الإسلامية المعترف بها، وانتقلت إلى عبادة أشخاص.

وغالب المبادئ الحقّة دخلها مثل هؤلاء فأفسدوا صفوتها، وكانت تصوّفاً خالصاً وعملاً صالحاً، لا يتجاوز حدود الزهد من طريق الأخذ بمساعدة الآخرين، والقيام بما ينفع الناس، ورأوا أن الانقطاع إلى العبادة والأعمال الدينية الصرفة وحدها مضر بالمواهب الإنسانية أو قل (رهبانية)، وفيه إهانة للخصال التي تقدر أن تقوم بأعمال جليلة، مفسدة لخير الإنسان والتقليل من الويلات، وأنه ينبغي أن لا يقصر في التعاون، ولا يهمل شأنه، بل إن عملاً كهذا قد يؤدي إلى خير العبادات.

والأخيرة في الأناضول كانت على طريقة مستقيمة، وأشخاصها لا يتجاوزون في طريقتهم حدود الزهد والإخلاص والقيام بمكارم الأخلاق مع الاحتفاظ بالعقيدة الإسلامية، ويعزي تاريخ الإبطان عندهم، وتمكنه بين ظهرائهم إلى قتلة الإسماعيلية في (الموت) من قبل السلطان هولاكو، فمالوا إلى الأناضول، ودخلوا هذه الطريقة، فظهر منهم شعراء لا يختلفون عن شعراء أذربيجان وخراسان من الباطنية.

وهؤلاء بعد نكبتهم صاروا يميلون إلى طريقة البكتاشية، واختلطوا بأهلها بعد أن نكبوا من السلاطين العثمانيين متواليّاً، ومالوا إلى البكتاشية، فلم يعد يفرق بينهم، وصاروا ينقلون حكاياتهم على لسان بكتاش ولي، ومثلهم فعل الحروفية، وفي الخفاء انتشرت مقطوعاتهم الشعرية في الفارسية والتركية، وذاعت دواوينهم، ويقال: إن انتشار الطرق في الأناضول سببه ضجر الناس من أوضاعهم لما أصابهم من الحروب المغولية التي انتابتهم وكانت قاسية، وتحكماتهم فيها قوية.

ومثلها المعارك على السلطنة بين أبناء الملوك من السلجوقيين، وكانت تجري بشدة وعنف، وهكذا حروبهم مع الروم والأرمن، وهذه كلها مما شوش الحالة، وجعل الناس يملكون هذه الأوضاع التي كانت من دواعي اضطراب الأمور الاجتماعية.

دامت هذه الحالة من أوائل القرن السابع إلى ما بعد ذلك بكثير مما سبب أن تعمل الطرق لنصائحها وتلعب دورها، فليجأ الناس إليها بتهالك زائد، ويرون فيها النجاة من هذه الأخطار والبلايا، ومالوا إليها بكليتهم، ووجدوا فيها سلواتهم، ولا

ينكر تأثير هذه من بعض الوجوه، ولكنها لا تصلح أن تكون أسباباً رئيسية من كل وجه.

والمهم أن الأهلين في مختلف العصور الإسلامية كانوا مرتبطين برجال الدين من جهة، وبأهل الزهد والتقوى، لا يترددون في طاعتهم والالتقياد الشديد لهم، وأن المشعوذين زادوا استفادة من هذا الاعتماد، وتظاهروا بالزهد والتقوى، ودخلوا بين صفوفهم حتى جردهم لناحتهم لما عرض من الجهل، وما حدث من الوقائع السياسية والحربية، سواء كان التكاثر، والميل إلى التعرف بسبب الظلم، والوقائع المؤلمة، أو شدة تعلق الناس بالصلحاء والزهاد، فلا ينكر أن يؤثر الأمران معاً ومجتمعاً.

والتسلية عن المصيبة ملازمة للأوضاع والحالات النفسية، وتدل على شدة ارتباط القوم بأهل العين وركونهم إليهم عند الفرع والعلاقة الدينية لم تنقطع، ولا عرف في وقت أن الدين أهمل شأنه، أو أن أهل الزهد لم يحترموا في زمان، وإنما هناك جماعات غزت هذه البلاد - مهما كان السائق - مكتسية بكسوة الصلاح وبثت دعاياتها بين الناس فاستهوتهم من طريقه، وغشتهم باسمه خصوصاً أن هؤلاء لا يظهرون أغراضهم بسهولة إلا أن يتقنوا ويأمنوا العائلة، ويشق ممن يبوحدون له بما عندهم.

والمثقال تاريخياً أن تصوف الزهاد دخل الأناضول من أنحاء تركستان إبان هجوم المغول، إلا أنه لم ينل رواجاً، وإنما سبقه تيار آخر وهو سيل جارف من غلاة التصوف، وهم باطنية قطعاً، كان يث في أنحاء قونية.

وهؤلاء لا يخلون من رموز وإشارات، وتأويلات لا تساعد عليها النصوص، وكلها فلسفية يونانية، أو أفلاطونية حديثة، جذبوا الناس إليهم من طريقها، وكل ما يرمون إليه أن الكائنات هي الله، ويجب أن لا يلتصق غيرها، وذاعت من طريقهم (وحدة الوجود)، (الخلول)، و(الاتحاد) ومعينهم كلهم واحد، ومقابلة النصوص ومقارنتها تعين وضعهم، انتشرت في الخفاء آراء محيي الدين بن عربي في هذا الوقت

ومن أقوى أنصاره القنوي، وجلال الدين الرومي، فكان الغلاة قد هاجموا المهالك الإسلامية والأناضول خاصة على اتفاق بينهم من الشرق والغرب، وليس هناك تباين في الأغراض.

شاهد الترك اليوم مرارة هذه الطرق المتلوية، وشعروا بشدة وطأتها، وما تتمخض به دوماً من ثورات، سائرة في الخفاء، فأغلقت الجمهورية التركية تكاياها، ولم تبق لها أثراً، ونصت على رموزاتها وتستراتها، والعنت غوائل داخلية كثيرة، وصار الناس اليوم يعدون شروها عندهم فلا يستطيعون الإحصاء، وكانت ظهرت بعض المؤلفات قبل إلغاء التكايا إلا أنها قليلة، وبعد انقراض التكايا انتشرت مؤلفاتهم، وشاعت، تداولها الباحثون، أو تمكنوا من الحصول عليها فصارت موضوع التحقيق، ومن أهمها الطريقة الكتائية.

ونحن بوضعنا اليوم وإن كنا نراها قد صارت في خبر كان، إنها نذكرها تمهيداً لمعرفة هذه الطريقة المنتشرة بين ظهرائنا أعني (الكاتائية) بقصد دراسة تطوراتها، والوقوف عليها من الناحية التاريخية في عهدها الغابرة، وإدراك العلاقات بين العراق والأقطار الأخرى.

ومن أشهر المدققين لها في الجمهورية التركية الأستاذ الجليل فؤاد الكبرلي أستاذ الجامعة التركية في أنقرة وفي إستانبول، وهو أعرف بمن هناك منهم، قال: عن دخول الباطنية الأناضول بكسوة التصوف:

-الإسماعيلية وما تشعب منها كالقرمطية ومن على شاكلتها من انتحل الإبطان، آمالها مصروفة في الحقيقة نحو إزالة العقائد الإسلامية من بينهم، وأن يحصلوا على الحاكمية السياسية، فدخلوا مواطن جمة، وبذلوا مساعي كثيرة، وتقبلوا في نحو ألف قالب، وكلما رأوا وضعا منهم منقوراً في أنظار الأهليين، أو شعروا بضرب محقق

¹⁷ لهذا الأستاذ الفاضل تنبغات في نواح علمية لها مكانتها من الثقافة التركية. وفي الآداب والنحل لباحثه قيمتها. ولا يركز في بحثه كلها إلا إلى نصوص تاريخية. فهو من الموقنين في ذلك، رأيته في داره على البحر في إستانبول سنة 1937م، ومقالاته في دائرة المعارف الإسلامية مهمة جداً.

عدلوا عنه على وجهة جديدة، وظهروا في شكل آخر وحملوا اسماً غير الأول، وأكسبوا عقائدهم ألقاباً حديثة، وسعوا جهدهم في نشر ما يرغبون في تلقيه، فلم يفتروا، ولم يبقوا، فهم في سير دائب، وطرأ ثابت.

كانوا يمثلون أدوارهم هذه بمهارة وقدر، وخير ما عولوا عليه التصوف والاختفاء تحت ستاره، وكان أسهل أمر يمكنون من القول به من عقائدهم (وحدة الوجود)، والقسم الأعظم من الباطنية في الأناضول جاؤوا من سورية واتصلوا بالأهلين بعلاقات كثيرة سواء كانت فكرية أو تجارية، وفي سورية أصل موطن الإبطان، ومحل وجوده، وفيهم الإسماعيلية، والدروز، والنصيرية.

ومن المعلوم أن سورية يداخلها الإبطان تحت ستار التصوف، وهكذا يقال عن الإسماعيلية الذين كانوا في (الموت)، هم لا يختلفون عن إسماعيلية سورية، نكل بهم هولاء وأضبط مملكتهم، فصاروا إلى أنحاء الأناضول حذراً من القهر والتدمير، فبذروا بذرنه تحت ستار التصوف، وقاموا بإفسادات وتحريكات لا حد لها.

ذلك كله يفسر لنا (البابائية) وقيامهم، و(الأخية) وتشكيلاتهم، و(الحروفية) وحركاتهم، و(البكتاشية) ودعوتهم، نشأ هؤلاء من الباطنية في أساس دعوتها الدينية، وكذا ما خلفها من حركات، يضاف إلى ذلك عامل آخر يتلوه ويعد من مقوماته وهو (ظهور شعراء) من خراسان وأذربيجان وهما منبع الباطنية، فكان لهم تأثير مهم جداً. انتهى.

وفي كتابه (إيلك متصوفلر) بحث عنهم وهو جدير بكل عناية والثفات، ثم ذكر مشاهير رجائهم مما لا محل لذكره.

¹⁸ إيلك متصوفلر، ص 231.

¹⁹ ومن أراد التوغل فليرجع إلى (إيلك متصوفلر)، و(صحائف الأخبار) لمنجم باشي، ج 2، ص 568 و(الشقائق العثمانية)، ج 1، ص 23 و(تاريخ عاشق زادة)، ص 46 و199 و(تحفة الأنظار)، ج 1، ص 191 و(مجموعة آيا صوفيا) وقسم 2311 و(تاريخ انجمي مجموعة سي)، و(ذيل رحلة ابن بطوطة في الفتيان الأخية).

الأخية في العراق

الأخية مرادفة للفتوة ومفردها (أخي)، وأن الأشخاص ينعون بـ (أخي فلان) ورد ذكر (أخي) في تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار، وفي نفحات الأنس للجامي، وفي كتب كثيرة تركية وفارسية.

شاعت الأخية في إيران وتركستان وبلغتها هذا دخلت العراق، وإن (أخي) انتشر كثيراً في كتب تاريخية كثيرة، ففي رسالتي شهاب الدين السهروردي أوضحت آداب (الأخي) مبسوطاً وفي الرسالة المتعلقة (بآل مظفر) المتعلقة بتاريخ كزيبه، وفي نفس التاريخ جاء لفظ (أخي) في مواطن كثيرة مثل أخي شجاع الدين، وأخي جوق وغيرهما، وهذا الأخير ورد اسمه في تاريخ المغول مكرراً، وهكذا صاحب (كتاب الأوامر العلانية) قد عد علاء الدين عطا ملك محمداً الجويني، وأخاه شمس الدين محمداً الجويني وغيرهما من الإخوان الفتيان.²⁰

وفي أيا صوفيا ضم مجموعة (كتاب منظوم) يسمى بـ (دمنامه) ورد فيه بيان عن الوزير غياث الدين محمد ابن الخواجه رشيد الدين، وبلقيس الزمان مخدومشاه، والصاحب الأعظم شمس الدين محمود صاين، وقاضي القضاة شاه قاضي، فعدهم من أهل الفتوة، وهكذا نرى خواجو الكرمانلي يمدح رجال الفتوة في عهد السلطان أبي سعيد المغولي ووزيره غياث الدين محمد ابن الوزير فضل الله الرشيد.

وفي كتاب (منهاج الوزراء) حكاية بعض الفتيان، وهذا الأثر قدمه مؤلفه برسم الوزير غياث الدين محمد، وكان الوزير يعد من أعظم أصحاب الفتوة، ولعل هذا الانتساب هو الذي ساقه إلى بناء ميل على ضريح الشيخ عمر السهروردي،²¹

²⁰ منه نسخة في أيا صوفيا برقم 2985.

²¹ راجع تاريخ العراق، ج3، ص27 من الملحق.

وألف القاضي عضد الدين الإيجي المواقف برسمه، وولاه السلطان أبو سعيد الوزارة سنة 727هـ، وفي كتاب (المناقب الصفوية) جاء ذكر الأمير جويان والسلطان أبي سعيد بهادر خان، وبغداد خاتون، والأمير حسن الجلایري، وفيه أن الوزير غياث الدين يروي أن السلطان أبا سعيد خان زار زاوية صفی الدين الأردبيلي وقال: لم تبق في عيني منزلة للسلطنة، وكذا كنت بغداد خاتون في زاوية صفی الدين، وفيه ذكر (ساقی بك خاتون) وأنها وردت أردبيل، ويطول تعداد الأخية الذين جاء ذكرهم في الكتاب المذكور، وفي كتاب (بزم ووزم) بيان لبعض الأخية.

وكل هذه تعين علاقة الفتوة أو الأخية بالأشخاص، ومنها يتبين لنا صلة صفی الدين الأردبيلي بالفتوة، وصلة هؤلاء الرجال بالشيخ عسر السهروردي، فتمكن أن نعد هذه العلاقة، وذلك الارتباط السبب بين الكاكائية وبين القزباشية وأنها متقاربان أو في الأصل من طريقة واحدة الأولى كانت سهروردية، والأخرى صفوية.

ذكرنا الفتوة وجماعة من العراقيين من أهلها ممن كان معاصراً لصاحب عمدة الطالب، إلا أن سمة الفتوة زالت وحل محلها الأخية، وهي صفة الفتوة، ودامت الأخية في العراق إلى أيامنا الحاضرة، ولا تزال محلة في كركوك تسمى بـ (محلة أخى حسين) لا أنها لم يبق إلا اسمها، ولم نعرف الآن من هو مشهور بهذه الطريقة، وصارت هذه الطريقة تعرف بـ (الكاكائية).

ولعل هذا كاف لمعرفة الاتصال بالأخية بين العراق وإيران، والمملكة التركية، والصلة غير مقطوعة، والعقائد والنحل، أو الطرق تكاد تكون متشعبة في الكل معاً، وهذه من أشهر الطرق القديمة.

الكاكائية في العراق

هذا البحث محط القائدة، فقد علمنا مكانة الأخية عند الترك، ولا تفترق عنها كثيراً في إيران، وهكذا في العراق، فهل (الكاكائية) غير هذه الطريقة أم هي عينها؟ وما مكانتها في التاريخ بالنظر للأخية؟

ذلك ما نحاول الإجابة عليه والبيان عنه، وكل ما نقوله مجملاً أن الكاكائية والأخية بمعنى واحد إلا أن اللفظة الأولى كردية، والأخرى عربية، تغيرت عندنا وتطورت كثيراً، وهناك ما يدعو للتحقيق عما عرض لهذه الطريقة من تحول.

وهذه الطريقة عرفت قديماً في العراق بالفتوة، كان الخليفة الناصر لدين الله العباسي وجهها ومن مبادئها مراعاة الأخوة، فعرفت في المواطن الأخرى بـ (الأخية) وصار يدعى كل واحد من رجالها بـ (أخي فلان)، وكانت تعرف بالأخية لما قبل هذا الخليفة، شاع لفظ الأخية أيضاً في العراق، بل العثمانيين، ثم بعد الاتصال بهم، ويهمن بيان تاريخ شيوع لفظ الكاكائية فأقول:

ورد ذكره في العراق بلفظ (كك) مثل (حسام الدين كك)، و(مبارز الدين كك)، وهؤلاء في عهد المغول، جرت لهم حروب معهم، والموضوع نبه إلى تاريخ استعمال (كك)، وينطبق به (كاكه)، و(ككه) أيضاً ولكن هاء السكت لم تذكر عند القدماء فقليل: (كك) بكافين مفتوحين كما عرف من مسالك الأبصار، وتعين أن لفظة (كك) معروفة من القرن السابع للهجرة، وأنها ترجمة (أخي) إلى الكردية، والطريقة هي (الكاكائية) أو (الككية).

إن مبارز الدين كك، وحسام الدين كك فصلت أحوالهما في (تاريخ إربل)، ولا شك أنهما كانا من أهل الفتوة وكان مبارز الدين كك يدعى الصلاح وتسنر له النذور.

وذكر لي الأستاذ الفاضل هجري دده أن الكاكائية كانوا في نعمة وسعادة وسلطة كبيرة أو واسعة النطاق.

ولا يزال فضلاء الكرد يقولون: إن السهروردية كانت متشرة في أنحاءهم إلا أنها اكتسبت تطورات²²، وجاء بحث في الكاكائية ذكره الأستاذ أنستاس ماري الكرمل في لغة العرب (ج 6، ص 264) لا يعدو التخمين، ولم يكن مما يعول عليه، ولكنه يشير على أوائل التتبع والتدوين في أيامنا الأخيرة.

²² عشائر العراق. ج 2. ص 225.

أمراء الكاكائية

إذا عدنا المراجع البعيدة العهد عنا، ولم نستطع معرفة الصلة التاريخية، فلا نترك المعروفين بين ظهرانيها، ولا نهمل الموجودين، وهؤلاء سادة من البرزنجة وهم نفوذ كبير على الكاكائية في العراق وخارجه.

كان رئيسهم السيد خليل صاحب منزلة ومحترمة بين قومه في تلك الأنحاء وهو امرؤ طاعن في السن، رأيته في أواخر أيامه، ولم يظهر عليه لباس درويش أو صوفي، وإنما هو كسائر الناس أمثاله في أنحاء كركوك، يلبس البشاغ والعقال اللف، كان عاقلاً، فهماً، مجرباً، توفي في أوائل سنة 1932 م، وكنت اقتبست منه ومن ابن أخيه السيد علي معلومات وافرة عن قبائل الكاكائية، ومواطنهم، وسلطة رؤسائهم، ونفوذهم.

قال لي: إنهم من أسرة معروفة بالسيادة من قرية (برزنجة) حافظت على رياستها من أمد بعيد، ثم علمت من ابنه أمير الكاكائية اليوم وهو السيد عبد الفتاح ابن السيد خليل أنهم يحتفظون بشجرة نسبهم، وقد أطلعني عليها في 8 تشرين الأول سنة 1937 م، ويتتبع نسبهم إلى الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، وهذا تعداد أسماؤهم بالتوالي:

السيد إبراهيم ابن السيد أحمد ابن السيد مصطفى ابن السيد نوروز ابن السيد بشار ابن السيد قلندر ابن السيد ولي ابن السيد مراد ابن السيد بابا ابن السيد مراد الأول ابن السيد محمود ابن السيد بشار ابن السيد الوند ابن السيد قوت ابن السيد سليمان شاه ابن السيد زياد الدين ابن السيد أحمد ميرسور ابن السيد عيسى البرزنجي ابن السيد بابا علي الهمداني ابن السيد يوسف ابن السيد منصور ابن السيد عبد العزيز ابن السيد إسماعيل ابن السيد الإمام موسى الكاظم (عليه السلام). انتهى.

ثم إن الموج متفرعون من السيد إبراهيم المذكور، نقلت سلسلة نسبهم من المشجر، وهذا اللوح يعين اتصال الحاضرين بالماضين:

السيد إبراهيم السيد أحمد المذكور			
السيد خليل	السيد عياش	السيد محمد	السيد علي
السيد حسين			
السيد وليد		السيد خليل	السيد رستم
السيد حسن	السيد رشيد		
توفيق، سليمان، رفيق	السيد برهان		
السيد عبد الفتاح، السيد مصطفى، نجم الدين، كريم، جمال			
السيد علي، السيد فتح الله، السيد صلاح الدين، فؤاد			

وجدتهم السيد إبراهيم دفن في مقبرة الشيخ عمر السهروردي ببغداد، ومن ثم تعرف العلاقة بالسهروردية.

والإمارة في الكاكاية قديمة لا يكاد يدرك أولها، واحترامهم للسادة كبير.

أما السيد خليل منهم فقد تجاوز الستين على ما يظهر من حاله، وهو متأن، لا يتسرع في الجواب، ولا يتكلم بأكثر مما يقتضي، وابن أخيه السيد علي نبيه عارف، استفدت من حضورهما أثناء محادثتي أكان المرحوم عبد الله بك الجاف قد جاءني بالسيد خليل، فأفهمته أن قصدي تاريخي لا غير فاطمأن نوعاً، وكان معه ابن أخيه علي، وكان يترقب أسئلتني فسألته عن القبائل، وعن عمود نسبه، وعن الذين يذعنون لهم بالطاعة والاحترام، والانقياد الذي يلقونه، فلم يتردد في الإجابة ولا تلعنم في قول، فبين ذلك بوضوح.

ثم قلت له:

- شائع أنكم تحبون علياً! فقال لي:

- وأنتم تكرهونه؟! بل أعتقد أنكم تحبونه أيضاً، فقلت:

- لا شك في الحب إلا أن له حداً، فإن تجاوزته كان عبادة!

قلت: تعلمون أن في أنحائكم طريقة قادية، ولها تقاليد، وأخرى نقشبندية، ولها مراسيم وعوائد خاصة، وهكذا، فما هي الطريقة التي أنتم عليها؟! وكان كل أملي أن يسرد ما عنده، ولو بتأويل أو تحوير.
فقال:

- ليس لنا من هذا النوع أكثر من أننا مسلمون، نؤمن بالقرآن، وهنا تلجج، ولم يفصح عن غرضه فزدت قائلاً:

- إن بعض المجاورين حينما يرون القوم (الكاكائية) في كستان، لا يوبخون بمعتقدهم نجدهم يتقولون عليهم بحيث صاروا ينسبون أموراً غير صحيحة، وغرضي أن أكتب الصحيح، وكان قد سبقني صاحب (دبستان مذهب) ²³ إلى هذا العمل، فلم أتعرض لما يقال عنكم زوراً، وجللاً، أو بغضاً وكرهاً! ذلك ما دعا أن أستوضح منكم جلية الأمر!

- فكانت المحاولات عبثاً، ولم أجد للأخذ به سبيلاً، وإنما أعاد قوله الأول، أو ما شابه فحولت المباحثة إلى نحو آخر فقلت له:

- إن جهان بخش له كتاب يقرؤه، ولكنه يلتزم الكتمان، ولم يطلع أحداً عليه، فلم يبد كلمة حول الموضوع وقال: نعم! إنهم يتخفون، ثم ذهب، ولم يرد أن أتوغل في الأسئلة، ووعد أنه لعله يأتي في فرصة أخرى وبين أنه مشغول فانصرف، ثم إن عبد الله بك الجاف كان يقص لي مشاهداته، وأنا في كل هذا قد أخفقت في مساعي وحاولت عبثاً، وإن كنت لم أدع الفرصة أن أسأل السيد خليل عن المجاورين وهم أهل تعين (القرلباشية) ²⁴ فقال: سوف أجد لك كتاباً من كتبهم، هم فلاحون عندي،

²³ وصف هذا الكتاب في تاريخ اليزيدية.

²⁴ قرية تسعين يقال لها في لهجاتهم (تسين).

ومن السهل أن أطلعك على بعض كتبهم فشكرته سلفاً، وقدمت له بطاقة للمخابرة، فلم أفر بباطل، ولم يعد لي مرة أخرى.

- وغالب ما استفدته من ابن أخيه السيد علي ابن السيد رستم أغا الذي كان يذكر عمه ببعض القبائل، ويوضح بعض ما يقوله، وقد حصل المقصود في الكشف عن صفحة مما أردت.

وهنا وبعد تلك المحادثة، والمحاولات الكثيرة والمراجعات لمؤلفات كثيرة علمت أن الكاكائية (أخية) ورد ذكر بعض أمراء كرمشاه في أيام نادر شاه يعرف أبوه بـ (أخي) وقد رجعت إلى كثيرين، فدونت ما علمته، أو شاهدته من إخوانهم، أو وقفت عليه من أخبارهم، فوضح المبهم نوعاً، وعرف أنهم في الأصل على طريقة الفتوة، فدخل الغلو في عقائدهم، ولنرجع إلى ذكر باقي أمرائهم.

والسيد سلمان ابن السيد وله كنت عرفته بعد ذلك، رأيته فاضلاً، وكذا رأيته الفاضل السيد عبد الفتاح الأمير الحالي ابن السيد خليل، وهو من الأخيار صاحبته مراراً فلم أجد منه إلا اللطف، وطيب المعاشرة، إلا أن التكتم يسود عقائدهم، بل يعد من أساسات نحلتهن، لا يباحون بما عندهم بالرغم من أن النفوس مالت في هذه الأيام إلى الألفة والتعارف، والعراقي بألف لمواطنيه كل الألفة وقد زال التنافر وحل الوئام، ولكل عقيدته وطريقته.

وهؤلاء في الحقيقة قوام (إمام أحمد) في كركوك في محلة القلعة، وهو مرفد يزار، وكل ما يقال في نسب هؤلاء - كما هو المعروف - أنهم من أقربي الشيخ معروف النوردي البرزنجي والد كاكه أحمد أو الجند الأعلى للأستاذ الشيخ محمود الزعيم في أيامنا.

ومن تقاليد هؤلاء السادة أن السيد عندهم لا يتزوج من سائر الناس وهذا معروف فيما بينهم، يكادون يتفقون عليه.

قبائل الكاكائية

إن الكاكائية طريقة، ثم انقلبت على نحلة، ودخلها النحول في مختلف الأزمان لم تكن قبيلة أو مجموعة قبائل أصلها واحد، وإنما هي نحلة تجمع قبائل صوفية، وهؤلاء لا يحصون عدداً، فإن قبائلهم كثيرة، وكبيرة، ولا تفرق عن سائر القبائل الكردية، فإن غالبها يسمى باسم المكان الذي نزله أو القرية التي حل بها، وهي منتشرة في إيران والعراق، وتحوي مجموعات تسمى قبائل.

شاهدت السيد خليل وجرى البحث فيما بيننا حول السلطة الدينية ودار حول العشائر والمواطن، فأكد لي أن (الشبك) و(الماولية) "ليسوا منهم". وقبائلهم:

1- اللك، هذه القبيلة كبيرة، ويغلب عليها الغلو، والمسموع أنهم (على اللهية)، ذكرتهم في عشائر العراق الكردية "وغالبهم في إيران، والقليل منهم في العراق، ومنهم في نفس بغداد.

2- هفتة غاري.

3- قره حسني.

4- جولكي.

5- سيد كاكي.

6- مام.

7- باوه.

وكل هؤلاء، في أنحاء طاووق (داقوق) وتجمعهم قرى كثيرة، وبينهم من هو خارج العراق إلا أن موطن الرئيس في هذه الأنحاء.

²⁵ يأتي الكلام على الشبك والماولية.

²⁶ عشائر العراق الكردية، ج 2، ص 215.

8- صارملو (صارلية)، قبيلة تركمانية من الكاكائية، ويظن أنها نحلة فاضطربت فيها الأقوال، فمنهم من يعتقد أنها نحلة مأخوذة من (صار) لي الجنة) لما يحكون من أن ابن ملجم قتل الإمام علياً، فألقده من الناسوت، فكانت لهذا القاتل الجنة، ومنهم من يقول: إن ابن ملجم أراد الهرب، فسأل الإمام أين أذهب فقال له (صارل) أي التف، وأشار إلى حصار في جانب من الجامع لينجو، ومن ثم سمى أتباع هذه النحلة بالصارلية، وهذا غير صحيح أيضاً، فهذه قبيلة ذكرت في المجلد الثالث من تاريخ العراق بين احتلالين²⁷.

وأوضح ما في هؤلاء عقيدة الحلول والتناسخ، ظهرت كثيراً على لسانهم ولم يعرف لهم تهتك، ولا إباحية كما هو شائع بين المجاورين من أعوانهم أو من يكرههم وبالتعبير الأولى هم كاكائية بلا فرق، ولكن هؤلاء المجاورين يطرون وداعتهم ومسالمتهم، ولم يكونوا أشراً.

وأتى ذكر قراهم عند الكلام على القرى، ورئيسهم طه كوجات يقيم في قرية وردك، ومنهم من يقول: إن رئيسهم يقيم في قرية (قرقشة) التابعة إلى قراقوش، والصحيح أن لهم في كل ناحية رئيساً، ورؤسائهم العامون سادة الكاكائية، ومنهم في تلعفر رئيسهم (علي بابا)، وهم متفرون بين قراقوينلو، وبعشيقه، والقوش، وكثرتهم في إربل على ضفة الزاب الأعلى.

9- خويلة، تابعة إلى السليمانية، بين السليمانية وكر كوك.

10- باديتان، في الموصل، والظاهر أن هؤلاء من بهديتان فاعتنقوا هذه النحلة، وهذه قرية بهذا الاسم.

11- في تلعفر أولاد سيد خليل آغا.

12- في تحته قرب كرنذ قبائل برئاسة سيد رستم براكه.

13- قرب كرمانشاه برئاسة سيد فرج سته.

²⁷ تاريخ العراق بين احتلالين، ج3، ص371.

14 - في جهة قصر شيرين برئاسة سيد خليل ابن سيد أحمد .

15 - فرقة سيد علي.

16 - هواسه ون.

17 - التفنكجية، رئيسهم جهان بخش ويعدون من قبائل كوران وهؤلاء يتجولون بين كرمان شاهان (كرمنشاه، قرمسين) وقصر شيرين، وهذا معروف أنه (على الله)، والظاهر أن الذي يعاشرهم لم يدركوا الفروق، ويغضبون على من يسب الشيطان أو يتعوذ منه كما أكد لي المرحوم عبد الله بك كيسخرو الجاف، وكان صاحبه، وعرفه حق المعرفة، ومن كتبهم أو الكتب المنتشرة بينهم (دبستان مذاهب) من جهة أنه بحث في عقائد العلي اللهية.

18 - القلخانبة، رئيسهم رشيد السلطنة، وهم نحو ثلاثة آلاف بيت في إيران منهم في كرند، وفي سرتك، وتخنه، وهؤلاء من قبائل كوران أيضاً يأكلون لحم الخنزير، ويصرحون أنهم على اللهية لضعف الفروق، وكل من يسب الشيطان عندهم يقتل، وهذا يدل على تحول في العقيدة من حب الإمام إلى اعتقاد الألوهية فيه، ولكن هؤلاء تابعون للسادة خليل وابنه عبد الفتاح.

19 - كرند، رئيسهم علي مراد خان وهذا توفي والآن ابنه مكانه، ومعروف من كثيرين أنهم على اللهية، والقبائل الثلاث الأخيرة ذكرها لي عبد الله بك الجاف.

20 - السنجاوية، من أعظم القبائل الإيرانية، وقراهم كثيرة، ورؤسائهم لا يكادون يحصون، وبينه شيعة وسنة والأكثر - كما هو المشهور - على اللهية والظاهر أنهم أهل غلو ولم يتمكنوا من التفريق بين النحل، ويسمون به (أهل الحق) أيضاً إلا أنهم يعدون من الكاكاية، وهؤلاء كلهم أصحاب قرى، لم يتكتموا بمعتقدهم، وسنجاوية العراق إسلام شافعية، ولعل هناك فروقاً تجعلهم غير العلي اللهية، وإلا فالمشهور أنهم من (من العلي اللهية).

²⁸ في عشاثر العراق إجمال عام عن هذه القبائل (قبائل الكاكاية)، ص 180 وفي مجلة (بادكار) ذكر فكل قرية من قرى السنجاوية وما فيها من نحل في السنة الرابعة (1948م).

21- كوران، رئيسهم قمر سلطان ورشيد خان وقادر خان، يأتون إلى زهاو، يتجولون بين زهاو وكرمانشاهان، وقيم من هم في اتجاه شهرزور، وأطراف حلبجة، ويقال لأهل القرى (كوران)، وللعشائر السيارة منهم (كرد)، والملاحظ أن كوران العراق شافعية المذهب بخلاف أولئك، وفي هاورامان العراق منهم من سكن في قرية (هاوار)، وقد تكلمت عن (كوران) في عشائر العراق الكردية²⁹، ومن قبائلهم (تفنكجي) و(قلخاني) وقد مر الكلام عليها.

22- بختياري - هفت لنك.

23- اللر - قسم منهم.

24- قفقيته.

25- جيحون آباد.

26- سهنه.

27- كاني جرمي.

28- سياه بيم.

29- كندر خانه.

30- دينور.

31- سعد آباد.

32- خاك ريز.

33- كهواره.

34- مزرعة.

وهذه مواقع وقليل منها قبائل، فلا يفرق بين المكان والقبيلة للاتصال بالوجه المذكور في عشائر العراق الكردية وقد تكلمنا عن عشائر الكاكائية وهناك قرى لا تخص في كوران أو في اللك أو في البختيارية وفي الستجاوية.

²⁹ عشائر العراق الكردية. ج3. ص85.

وهذه القبائل أغلبها على طريقة الكاكائية، كل قبيلة من هذه تنضج إلى فروع أو تنوزع إلى قرى، وهذا هو الأصل والفروق بين القبيلة والقرية متقاربة ونفوسهم تعد بالألوف أو مئات الألوف، ولكن الفرق الرئيسية بينها شيعة وسنة وغالب قراهم مشتركة".

ولم يكن التدوين عن هذه القبائل مقصوداً من حينه، وإنما حاولت أن أجعله تمهيداً للبحث عن حقيقة المعتقد، ولذا لم أتوسع بها وبمواطنها وفروعها إذ لا تخص العراق أو لا علاقة لها به، ولعل التوسع في العرفه هناك يؤدي إلى الاطلاع على منهم عندنا وفي أنحاء العراق، فالواحدة توضح عن الأخرى.

³⁰ عشائر العراق الكردية. ج 2، ص 180.

قرى الكاكائية

القرى العراقية متعانقة ولاسيما من كان منها متقارباً أو في محل واحد، فكان المحيط أوحى لها وضعها، وقرى هؤلاء لا تختلف عن غيره من القرى العراقية الكردية المجاورة لها أو المختلفة بها، ولا نستطيع أن نفرق بين الأقراء من ملاحظة القرى، وهكذا اللباس لا يشير إلى الفروق إلا قليلاً، ولا يعين أرباب النحلة.

وبعض الأوضاع الضعيفة لا تعين لنا شيئاً من ذلك، فهؤلاء من الكره بلا كبير فرق، ويصعب علينا التفريق بين القبيلة والقرية، وغالب التسمية العامة تطلق على القبيلة وإن كانت في الغالب اسم المحل.

والتفريق بين الكاكائية وغيرهم إنما يكون في الرسوم والماراسيم الأخرى، وقد يتحقق اللباس أحياناً، وتختلف العقيدة اختلافاً لا يمكن الانتلاف فيه أو التوفيق بينه، وبعض الرموز أو الأوضاع مما يلتفت إليه فيما بينهم، ولكن هذا لم يتوضح لي.

والكاكائية يختلفون عن مجاورهم أو مساكينهم في ميلهم إلى الثقافة لاسيما في كركوك، وأنهم في رفاه من الحياة، نشأ منهم موظفون كانت لهم مكائهم ولا تزال، وكثرتهم في أنحاء دافوق (طاووق) المعروفة قديماً بـ (دقوقا).

وهم منتشرون في غيرها ورئيسهم في قرية (طويزاوة)، ونرى التضامن بينهم كبيراً جداً، بل يعدون لزوم التضامن مع كل الناس فهم من هذه الجهة في الموقع الممتاز وأروؤسائهم من الأخيار، لا ييغنون الشر، ولا يميلون إلى الفتن، فهم أهل هدوء وسكينة.

وكان الأولى أن لا نفرق بين قراهم وبين القبائل إلا أن الغرض بيان قراهم، ومواطنهم في العراق لنعلم تلك العلاقة، ونتمكن من مواطن انتشارهم ومحال كثرتهم، وهذه أشهر قراهم:

1- قرى الكاكائية في كركوك:

- في نفس كركوك محلة المصلى، ومحلة جاي، وأما القرى فهي:
- (1) طوبزأوة، موطن أميرهم السيد عبد الفتاح ابن السيد خليل.
 - (2) علي سراي، من أجمل قراهم.
 - (3) زنفر، وتلفظ زافر.
 - (4) تل رابعة، وينطقون به تل رعة، (تل ربعة).
 - (5) دلس الصغيرة.
 - (6) دلس الكبيرة.
 - (7) ريضة، ينطقون بها ربيزة، أو ريبة.
 - (8) البوسراج.
 - (9) زنكلاوة، أو جنكلاوة.
 - (10) البو محمد.
 - (11) عربكوي.
 - (12) مطيق أو متيق.
- كل هذه تابعة طاووق، ومن قراهم (أسكي سراي) ولم يبق لها أثر.
- (13) قرية أبو كصة، كاكائية كلها، هذه تابعة لنفس كركوك.
 - (14) محلة سر شقام، وهي كاكائية في نفى السليمانية.
 - (15) قرية هاوار، في (هاورمان) من قضاء حلبجة من لواء السليمانية، أهلها كاكائية، وفيها الآن بعض الرجال العارفين بعقائدهم وتقاليدهم، أو بالتعبير الأصح العارفين بطريقتهم في هذه القرية.
- والزعيم الديني في هذه القرية درويش رشيد، وهناك مرفد (سلطان إسحق) من مزراتهم في قرية (شيخا) قرب قرية (توسود) ويعدون من الكورانيين.
- (16) السادة في تلعفر، كاكائية، وكبيرهم هناك السيد يونس رئيس البلدية.
- علمت ذلك من السيد عبد الفتاح ابن السيد خليل، وهو الرئيس العام، في 8 تشرين الأول سنة 1937 م.

ومن قراهم في خانقين:

- نفس خانقين، فيه من هو من الكاكائية.
 - كبسه.
 - ميخاص، رئيسهم طاهر عزيز (هو الرئيس في حاجي قرا).
 - بوكه.
 - عماراو (عباراو)، رئيسهم ميرزا سعيد.
 - كره بوله (كرديولي)، رئيسهم عز الدين هودي.
 - مركز حدود، رئيسهم باشا هودي.
 - جم جقل (جم جقال)، رئيسهم عباس عزيز.
 - قلمه، رئيسهم بابا ولي.
 - ساوله (سياوله) رئيسهم هياس.
 - باريكه.
 - تفرقة.
 - بابا بلاوي صغير، رئيسهم عبد الله مثنى.
 - مركز شيخ، رئيسهم السيد حسن ابن السيد عبد الله.
 - أمين بابير، رئيسهم فرحان.
 - مقاطعة خانقين، رئيسهم عبد الله فتحي.
 - داره خرما، رئيسهم السيد حسين ابن السيد عزيز.
- هذه قرى الكاكائية في خانقين، علمت ذلك من رئيسهم السيد عباس عزيز في
- 9 تشرين الثاني سنة 1939 م.

ومن رؤسائهم الروحانيين الذين يترددون إليهم:

- 1- درويش رشيد - في قرية هاوار، في هاورامان.
- 2- السيد عباس - في طوبزوة، من آل السيد ولد.
- 3- السيد سلمان - في نفس الموصل.

وهؤلاء الشيوخ يأتون للاحية السعدية (فزلباط) جماعة منهم رئيسهم علي كيم، وعباس.

وفي مندلي (بنديجين):

1- دوشينغ، وهذه نقطة فارسية معناها (شيخان) كذا قيل، وجاء يفي سياحتنامه، حدود أن (دي شيخ) تعني قرية الشيخ فان ده، أو دي بمعنى قرية وتبعد عن مندلي نحو ساعتين سيراً على الأقدام.

2- قلم حاج، علة في مندلي تقع على الطريق المؤدية إلى قزانية، وأصل تسميتها (قلعة مبرحاج) فتصرفوا في لفظها، وغمرها المسمى بهذا الاسم معروف.

وجاء في لغة العرب أنهم (على اللهية) "وليس بصواب، وإنما هم (كاكائية)، والفروق بينهم وبين العلى اللهية غير واضحة.

ومن قرى الكاكائية الصارلية في إربل وما والاها:

1- كلك ياسين، وتسمى (ياسين كلك).

2- زنكل.

3- وردك، رئيسهم طه كوجك يقيم فيها.

4- نوله بند، أو (تله بان).

5- كزه كان.

6- كبرلو، كبرلي.

7- فرقشه، تابعة إلى قراقوش.

8- تل الحميد.

9- خرابة سلطان.

10- فتحاو.

11- صفيه.

³¹ لغة العرب. ج 7. ص 513 و 806.

12- مطراد صاره لو..

13- بسائليه.

كل هذه في لواء إربل في ناحية الكوير وفي القرى القريبة، ومنهم في بعشيقه، والقوش، وقراقوش كما تقدم، وكثرتهم في ضفة الزاب الأعلى، وبينهم من يقيم مع قراقوينلو.

وهذه علمتها من السيد عبد الفتاح في التاريخ المذكور سابقاً، كما أنه تفضل علي بتعيين مواطنهم في إيران، ومحل انتشارهم هناك، وهذه قائمتها:

1- طهران، خيابان جليل آباد.

2- تبريز، قسم منها.

3- همدان.

4- کرمانشاه.

5- کرند، ومن رؤسائهم خان عزيز وعلي مراد وقد توفي والآن ابنه.

6- قصر شیرين، قسم منها.

7- نوشامي، قرية سيد رستم براكه.

8- قرية سيد قنوم.

9- قرية روزاب.

10- تبه قبرستان.

11- قرية سيد خليل.

12- قرية سيد أحمد.

ومن الكاكاية في إيران:

قلخاني: نحو ثلاثة آلاف بيت في إيران، في کرند، وسرتك وتتهه، رئيسهم رشيد

السلطنة، ومن رؤسائها:

1- جهان بخش.

2- قمر سلطان.

3- بهرام بن شیر خان.

4- شیران.

5- ابن السيد رستم، من رؤساء برزنجة سادة ولكنهم صاروا منهم ومصلهم أهل كرنند، ويصرحون أنهم (على اللهية)، وهنا لم يفرق بين الكاكائية والعلی اللهية، وجاء في رحلة المثنی البغدادي ذكر الكثير من قرى الكاكائية، إلا أنه لم يفرق أيضاً بينهم وبين العلی اللهية، والفروق دقيقة كما يظهر، وكل من يسب الشيطان يقتل إذا تمكنوا منه، أو قدروا عليه، فهم يحترمون.

المراقد والمزارات المشهورة

إن الكاكائية في تكتمها، والعمل لإخفاء كل ما عندها أدى إلى أن يتقوّل المجاورون عليهم، رجعنا إلى مزاراتهم وزياراتهم، فدونا بعض ما هنالك لعلنا نتوصل إلى حقيقة هذه النحلة، وكيف انتقلت من السهروردية، وكانت شائعة كشيوع النقشبندية في هذه الأيام، ومن هذه التحريات أيضاً لم نظفر ببغية ويصح أن أقول: إنني عدت بصفقة المغبون، تبين لي أن ليس لهم أيام خاصة لزيارة المراقد، ومن أظهر مراقد الزيارات:

1- سلطان إسحق: وهذا المرقد أو المزار في جبل هاورمان، في قرى هاورمان، ولعله أصل فرقة (الإسحاقية)، ويعد عندهم من أهل الظهور، وسلطان إسحق في قرية (شيخا) قرب قرية توسود، وإن الكاكائية يزورون هذا المرقد سنوياً، وليس لهم يوم معين لزيارته، والأكثر يأتون للزيارة في فصل الربيع.

وقرى لهون من قرى هاورمان، التابعة لإيران (مدينة سنة) وهذه القرى منها 17 قرية تابعة قضاء حلبجة، لناحية خورمال ويقال لها (هاورمان تحت) وباقى القرى تابعة إيران وهي نحو 100 قرية³².

ويعدون (سلطان إسحق) من أعظم رجالهم المشاهير، فيزار ويعد أول من ماله الظهور بعد الإمام علي، ويلفظ (سهاك، أو صهاك).

2- سيد إبراهيم: في بغداد بين الشيخ عمر والباب الأوسط، ويعد من أعظم رجائهم، بل من أهل الظهور ويدخل في سلسلة نسب السادة أمرائهم، ويقولون: إنه ظهر بطريق التناسخ سنت مرات، وأنهم يتظرون ظهوره للمرة السابعة، يحترمون احتراماً زائداً، فائق الحد، ولهم فيه حكايات وقصص منقولة، ويقولون: إنه

³² عشائر العراق الكردية، ص 86 وما بعدها.

(مهدي) آخر الزمان، بل يقطعون بظهوره كاله، ومشهد دفنه بقرب الشيخ عمر السهروردي، وهذا ما يشير إلى العلاقة بهذه الطريقة.

3- دكان داود: داود هذا كان خليفة السلطان إسحق وهو مرشد، محله يسمى (دكان داود) ويقع بين سرييل وباي طاق، في كهف جبل عال فيه دكان داود يزورونه، ويقربه مقبرة، وهناك كاكائية: وشيعة ويعدون من الأدلاء، ذكره صاحب المعجم في مادته وأحال إلى مادة (با أيوب)، وقهي قرية كبيرة بين قرمسين وهمذان عن بين الطريق للقاصد من بغداد إلى همذان.

وذكر قصته مفصلاً في مادة (دكان) و(با أيوب)، ولهم مزار فيه، ويعتبرونه من المواطن المقدسة، ومثله يقال في سرييل، وهو مذكور في مادة (قصر شيرين).

وأمام الدكان كومة أشبه بكومة اللبن من الصخر كأنها منحوتة لهذا الغرض، ولهم أساطير محفوظة عن هذا الأثر، يقولون: إنه محل صناعة داود الذي ألبن له الحديد، في حين أن داود كان من رجائهم، ويعتبر درجة اعتصامهم بـداود وحبهم له أنهم لا يخلفون به كذباً، وشكل اليمين عندهم (داود كوسوار) أي داود خيال الملح، ولا يبالون أن يخلفوا بيمين أخرى، ويقال: إنهم يرجحون داود على النبي (صلى الله عليه وسلم)؛ لأنهم يعدونه مظهر التجلي، وعحمد (صلى الله عليه وسلم) عندهم ليس كذلك.

4- زين العابدين: مزاره في داقوق (طاووق).

وأصل محله كنيسة، وبنائه قديم، دفن عنده بعض أولاد السادة، ولا يعرف من هو المدفون، والشائع مغلوط، ولم يقطع أحد يفني صحته، ولا يعرف أحد أنه هناك قطعاً.

5- الحاج السيد أحمد ويراني سلطان: وهذا معتبر عندهم في العراق، وعند الكتاشية في الدولة العثمانية، بل معبود من أهل طاووق (داقوتسا)، وأهل طوز خورماتو، وأهل سبعين وأمشاهم، ويقولون: إنه كان مقبلاً في تكية البكتاشية في

التجف)، فرفع إلى السماء وصار أسداً، ولا تزال في هذه التكية قلنسوته (كلامه) موضوعة على دكة في جانب من الغرفة هناك في نفس التكية.

ولما يزورون التجف يبدون له غاية الاحترام، بل العبادة، ويقبلون المحل بخضوع وإجلال، وعندهم أن زيارة الإمام علي صورية، وهو المقصود فله الظهور كسائر أعظم رجائهم".

6- إمام أحمد: في كركوك بمحلة المصل، وقوامه سادتهم وأمرأهم.

7- باوه يادركار: في إيران، في ماي دشت، ويعد من أماكن زياراتهم المعروفة، تجلي فيه الله.

8- عمر مندان: في كفري، وهو غير (عسر مندان) الواقع في طريق كركوك - إربل، وهذا من أولاد سادتهم لا أكثر.

9- إمام إسماعيل: وهذا في الزاوية التابعة لناحية قزلباط، تقدم لها النذور في يوم خاص، ويقولون: من حلف به كاذباً أعوج فكّه، ومن كان فكّه أعوج قومّه، يعدون ذلك من كراماته.

10- شعب الدين: هو شهاب الدين السهروردي، يقولون: إنه نائم، وهو الموكل بالمطار، وأثر ذلك عندهم متوارث عن أصل (الطريقة السهروردية) كما أن وجود السيد إبراهيم بقربه يدل على الاتصال ووحدة الطريقة ثم نالها النحول، فأنقلبت إلى مثل هذه الأمور.

11- باوه حيدر: في إيران، ممن ناله الحلول.

12- شاه عباس (إياس): من السادة، ناله التجلي.

13- سلطان ساقي: من الأولاد ولم يكن من أصحاب التجلي.

14- إمام قاسم: من الأولاد، ولم يكن من أصحاب التجلي.

³³ الكلام يقال له عندنا (كلاو). وهو ما يلبس في الرأس معروف وفي هذه الأيام ترك من الكثيرين . وكان الكرد يلبسونه، وكذا الإيرانيون. ويتشعرون بصنعه.

³⁴ من تعليق في غلاف ديوان روجي البغدادي في النسخة المطبوعة الموجودة عندي.

15- حواس: قرب على سراي.

والملاحظ أن زياراتهم منها ما يعتقدون به أنه نال الظهور (الجلول)، والانتقال، وله مكانة محترمة، ومنهم من كان من الأولاد (أولاد السادة)، أو من المرشدين (الأدلاء).

وهذه المزارات معروفة، ذكرها لي السيد عبد الفتاح رئيسهم السيد خليل، وعندهم يقدم (النياز) أي (النذور) بلا تعيين وقت، وفي الحقيقة يسمى هؤلاء بـ (النيازية) وتقدم إلى رؤسائهم، أو لأصحاب هذه المراقدة، وينعتون غيرهم بـ (النيازية) أي أهل الصلاة وباصطلاح المتصوفة يسمون (أهل الرسوم) كما أن العلماء يقولون: إن هؤلاء (أصحاب رفع التكاليف).

وعلى كل حال هذا التقسيم لا يصدق عليهم وحدهم، إنما يدعي به كثيرون من المتصوفة الذين ينددون بالعلماء ويعيبنهم بالرسوم الدينية، وفي هؤلاء رسخت مثل هذه الأقوال أكثر، فلا نراهم يقومون بالمفروضات ويقولون: نحن (نيازية)، ويستندون إلى آية ﴿ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُنُكُمْ صَدَقَةً ﴾ [سورة المجادلة: 12] ويريدون بها (النياز)، وهي بعينها موجودة عند (الإسماعيلية) وأهل الطرق أرباب الدعوات الذين يقولون بالوصول ورفع التكاليف، وليس لاحتفالهم الدينية موسم معين أو وقت مقرر، ولا لإقامة النذور زمن مخصوص أو أمد محدود، وإنما يجمع الواحد مقداراً كافياً ليقدم نذره، ويقوم بواجبه ولا يكلف بغير هذا النذر أي (النياز).

وكان هذه تقوم مقام العبادات، وتعد تعويضاً لما يطلب من غيرهم من التعازية من أعمال.

الباباوات

هؤلاء علماء الطريقة، أو رجال دينهم ويسمون بـ (البابائية) العارفين بأغراضهم الدينية مهما كان شكلها أو نوعها، وليس فهم مراسيم خاصة، وإنما يقومون في الحقيقة بأمور دينية، أو اعتيادات متعارفة، وتلاوة أدعية، أو قراءة (بوروقات)، وهي أشعار أكابر رجالهم ممن يعتقد فيه أنه من الأعظم.

ويسمى هؤلاء (ددوات)، ولكن أصل المصطلح لغيرهم، والملاحظ أنهم أرادوا أن يتستروا بهذا الاسم حذراً من الترك أن يبطشوا بهم.

وغالب هؤلاء يحفظون المقطوعات الشعرية المختارة لمشاهيرهم، ويقال لها (نفس)، وهي أشبه بـ (أنفاس البكتاشية) أي مختاراتهم الشعرية، بل غالبها مشترك بين الكل، وبين هذه فارسية وتركية.

وكان السيد عبد الفتاح وعدي أن يأتيني بواحد من شيوخهم (باوه) أو (بابا) فلم يبر بوعده والظاهر أنه نسي وإلا فلا أعتقد أنه تعمد، ولكنني رأيت هجري دده فأغنائي عن كل رجالهم، وخضر لطفني من مشاهيرهم، وعدي فبراً بوعده في التعريف أو كان فاضلاً جداً، وله معرفة تامة بالتحلة، فلم يتكتم، ولكن الأستاذ هجري دده كان متكتماً.

ومن المعلوم أن هؤلاء الباباوات صوفية في طريقتهم لا يوحون بشيء، وإذا ألححت على أحدهم قال: هذا مما لا يجوز أن نوح به، فلم أحرجه.

وآدابهم صوفية، ولا يحفظون سوى أشعار المتصوفة الغلاة وفيها من الغرابة، وضروب البلاغة في البيان ما يهز ألباعهم. ويجذبهم قسراً إليهم وأساساً إذا أردنا أن نعرف مكانة رؤسائهم الدينيين (الباباوات) فذلك يتعين من درجة حفظهم

الشعر، ورغبتهم فيه، ونرى في هجري دده أكمل أوصاف الباباوات، ونرجح الكلام عليه، وهو من أصحاب المكانة الممتازة أو هو شاعر محبوب وأعدده من الأصدقاء الأفاضل.

هجري دده

في كركوك روح أدبي، وصلة بالآثار الشعرية مكيمة، ميل إلى الفارسية كبير، دواوينها متشرة، ولها رواج، ولا يخلو الأهلون من تأدب بالأدب الفارسي والتركي أيضاً، فإن ميلهم إليها كبير، وتكاد تكون التركية لغتهم التي يتفاهمون بها، وفي الأصل سكن البلد قديماً أقوام تركية، ولغتهم أذرية قريبة من اللغة التركية في الأناضول، وكانت كركوك أكبر منبع للموظفين الترك أيام الدولة العثمانية.

وغالب هؤلاء أدباء يتقنون الفارسية والتركية والعربية، نبغ منهم شعراء مشاهير لا يستهان بهم وغالب الدواوين التركية مثل: ديوان فضولي، وروحي، ونورس، وأسعد النائب، وغريبي، متداولة بينهم، إن مختاراتها محفوظة، تلوكها الأنسن، ومن حصل على كمية وافرة من مختارات هذه، وكان له اتصال بالعربية وآدابها بلغ الغاية في البلاغة، وربما نظم الشعر، ولم تُر كركوك خلت في وقت من أشال هؤلاء، نشاهددها فيأضة الآداب، وبوفرة الشعراء، وقد أوضحنا في (كتاب الأدب التركي في العراق) ما فيه الكفاية.

وهجري دده أديب كامل ممتاز في شعره كأولئك الكركوكيين الأفاضل وشعره مشهور في الفارسية والتركية، والمطبوع المتداول منه يكفي للتدليل على قدرته الفائقة، وصناعته الأدبية في الشعر، ومختارات محفوظاته تعرف بقيمته الأدبية.

وموضوعنا (الكاكائية) ورجالها العلماء الأدباء، وهجري دده يعد بحق من الأفاضل، تغلب عليه مسحة تصوف الغلاة أمثال الحلاج، ونسيمي، وفضل الله الحروفي، وبكتاش ولي، وإيدال، وويراني وأخراهم.

نراه يرمي إلى ما يرمون إليه، ونشاهد الوحدة، والاتحاد، والخلول، والجذبة والنوله، باديات في رباعياته أو ترمز إليها، كما أن محفوظاته تفصح عن توغله في أمرها وفيها البيان الكافي، فلا أجدي مبالغاً إذا قلت: إنني عرفت منه كل شيء.

بالرغم من نكتمه إلا أنه باح بها أريد، أو همس في أذني بها قصدت، وإنما رأيته مكتماً غاية التكتّم.

ولكنني قرأت في مختاراته جملة تصلح للحكم، وأبدتها رباعياته ومنظوماته، فلم أر أوضح من هذا بياناً وفي مصل هذا تكفي الإشارة، والرمز - كما يعبرون - بيان، بل الكتابة أبلغ من التصريح، ولم أجد في شعره ما يخالف المنقول المحفوظ.

أعجب منه أن يتكتم، والرأي يجب أن يعرف، وإذا كان حقاً فمن الضروري إذاعته، وقد حاولت معه محاولات لاستطلاع رأيه من هذه الناحية فعدت بصفقة المغبون، ولكن كفاني أن أعرف مبدأ القوم من شعرهم، وهو كل ما يعولون عليه أو يرجعون إليه.

نعم رأيته بياناً جديداً، وموضوعه لم يختلف، وقدرته على الأداء واضحة، وكأنه يقول: نحاول كشف الغطاء، وليس في الطاقة إظهار السر، ولعل فينا نطق به من الشعر ما يسهل الإدراك، ولا أود أن أخرج الرجل، وقد رأيته في مكانة من الأدب، والقدرة على البيان، واللفظ الكبير وعلى كل هو مفكر، عاقل، ممن نفتخر به.

ومن مطالعة المؤلفات الخاصة والأشعار المنتشرة أن عقيدتهم تلخص في أن الكون والمكون واحد، وأنهم منه وإليه، وليس ثمة فروق، فلا مجال للتحري، وفي أمر الوحدة والاتحاد زلت أقدام.

هجري دده لا ينكر فضله، ولا يبخل شعره، صديقي أود مجالسته، وأعدها من خير أيام الانتعاش، يخلو حديثه، طروب أديب، وفي معاشرته نشاط الحياة، وقوة فيضها، وإذا كانت مختاراته تشير إلى حسن انتخابه، وشعره يدل على أدبه الجسم، وتتبعاته التاريخية وغيرها تعين قدرته العلمية، فلا شك أن رباعياته تعين عقيدته، وخطته في حياته.

ورباعياته (إرشادات كائنات) متأثرة بالأدب الفارسي والتركي، ومشبعة بهما لا من الوجهة الأدبية، بل من ناحية الإبطان، وأهلها وهو من رجاله البارزين اليوم، ومن شعرائه العارفين، نرى أديبنا تقمص ثوباً خيامياً في الانهماك بالخمرة، وعدم

المبالاة بالشرائع، داعياً إلى الاستقامة والصفاء دون التفات إلى المفروضات والعبادات، كأن هذه تنافي تلك، أو أن إصلاح الباطن لا يأتلف ومراعاة الظاهر، فإذا كان يلخص التقوى في ترك الشر، فلا ينبغي أن ننفر من المساجد وبيوت العبادة والمدارس لنلتبسها فيها، قال:

خيلي بصحن مدرسه خواتم كتاب قال جزلاف عمرو وزيد نذيدم أزومقال
انجم كآر فيض زما دانيم رميد بهتر زحال بيخري نيست هيچ كمال "

لا يرى المدرسة موطن تهذيب، وكان الأولى أن يندد بأوضاعها السقيمة، يريد أن الكائنات مورد تهذيب، والاتصال بالنفس وبالعالم معاً يدعو للاستفادة الكبيرة، ولا يستغني عن أمر، وطرق الانتفاع كثيرة، وإذا كانت الخمرة هي المهذبة، أو النظرة إلى الكائنات تلهما لدروس المهمة دون استعانة بمدرسة فالويل للمعارف في خططها لمختلف الأصقاع والممالك، وويل لما تصرفه في سبيل رفع الأمية والقضاء عليها وتمكين المعرفة، بل يريد أن الفيض أو التجلي أصل المعرفة على حد قوخم: (ما بناه العقل بالكشف انهدم).

ويهما أن نقول: يجب أن تعرف بالآراء، لا أن تخفى، وتسرى في حالة الكتمان، ومن الضروري أن نناقش، والبقاء نصيب الحق الصراح، والفاضل الأديب مسوق بتأثير الآداب الفارسية والتركية، بل آداب غلاتها، ولا مانع أن نقول ما اقتنع منه، وأبداه بأسلوبه الجذاب وشعره الرقيق مشبع بمن تقدم ذكرهم وكان في الذروة الأدبية.

وكيف لا يكون كذلك وهو يحمل مختار المختار والقدر ما يعرّج نهجاً حياتياً، ولا في الإغراق بالشرب، وكأنه هو الحياة، وهو الصلاح وتسييرها، أو تعديل المعوج منها، وهو العلم، وهو الدين، أو هو الكل في الكل، قالوا: لا تؤنب أحداً، ولا تنه

عن منكر، وانظر إلى خاصة نفسك وأمر صلاحها، وراقب قلبك وصفاءه، فلا تهتم
بغير ذلك، ولا عبءة بالمجتمع وشؤونه، ولا الدعوة إلى خير العمل.

فلسفة مات أمرها وإن زوقوها بجميل الأشعار، أو بزينة القول، والآن تصرف
الملايين لصلاح المجتمع وأدابه، وسياسته، وحسن إدارته، وأن لا تدخله المبادئ
المضلة.

قصص ما رأيت، وليعذرني القارئ في إيذاء ملاحظتي، والمرء لا يقف جامداً
تجاه ما شاهد، وقد طالعت غالب آثارهم، والأديب الفاضل كما آراؤه كسوة قشبية،
وعبر بها عن لسان القوم بلهجة العصر، يتطلب الإصلاح، ويدعو إليه من طريق
دعوة الأقدمين، ولم يعنِ نهجاً جديداً وطريقاً واضحاً.

وعلى كل حال مؤلفاته خير طريق لمعرفة مبدئه، وأشهر مؤلفاته:

1- إرشادات كائنات.

2- تاريخ كركوك.

3- يادكار هجري - فارسي وتركي.

4- رباعيات - جاري به الخيام.

5- ترجيع بند - تركي.

6- جانلي أثر.

7- ترجمة كلستان سعدي إلى التركية.

وهجري دده ولد سنة 1298 هـ، تقريباً واسمه محمود هجري ابن ملا علي
أفندي ابن نظيري دده بن قيصر، وقد حكى أنه يمت إلى رسول حاوي صاحب
دوحة الوزراء بنسب.

ومن الآثار القديمة التي لا تزال عند أسرته (التاج)، والخرقه من الحرير،
والكمر، وهذه يرجع عهدها إلى زمن السلطان سليمان القانوني، وقد أكد لي بأنها
موجودة عندهم.

ولا نمضي دون أن نبين أن هذا الرجل الفاضل من الشيوخ العبارفين، وزجال الكاكائية المتميزين وأصحاب المكانة سواء في بلده، أو في الأماكن الأخرى التي يقطعها أرباب هذه النحلة ويلقى منهم كل احترام وتوقير، وحسن ضيافة، وله سفرات إلى قرى الكاكائية في أوقات ومواسم خاصة.

والملاحظ أن جريدة كركوك الرسمية تنشر له بين آونة وأخرى بعض الرباعيات التي تزين بها الجريدة، مكتوبة باللغة التركية، مما يستلزم المرء قراءتها، ويستطيع أفكارها، وقوة بياها.

ولهجري دده أشعار معروفة، ذائعة في أنحاء كركوك، ومنقولاته الشعرية المختارة كثيرة وغالبها من نسيمي، ومن بكتاش ولي ومن ويراني، وأبدال، وقد تعرضت لتفصيل حياته وحياة جده نظيري دده في تاريخ الأدب التركي في العراق. وهذه سلسلة أسرته:

فيصر			
نظري دده		محمد	
ملا علي أفندي			
عبد الله (توفي صغيراً)	أحمد أفندي	محمود هجري دده	محمد

ذكر لي الأستاذ هجري دده أن رسول حاوي ابن عمه الأعلى ولم يعيّن لي وجه اتصاله به.

السيد سليمان:

شاعر من السادة الكاكائية، وله معرفة بتقاليد القوم، ويعرف عن البكتاشية الشيء الكثير أولاً شك أنهم يتصلون بهم، ولا يشذون عنهم بوجه، وأكثر كتبهم مشتركة.

³⁶ توفي نحو سنة 1285 هـ.

³⁷ ويعرف بأبي الغنم، وكان له ثلاثون راعياً، توفي سنة 1305 هـ.

³⁸ ولد سنة 1298 هـ.

خضر لطفي أفندي:

من مشاهير رجالهم، العارفين بأحوالهم جيداً، وله اطلاع على المقابلات في بعض العقائد، صار حتى بكل ما عندهم، وجاهر في القول، فعلمت ما كنت متردداً فيه، أو لم أقطع في نسبه إليهم وكان ما عنده كافياً وله طمأنينة أكثر فيما أبدى لمعرفة هذه النحلة.

والرجل فاضل، كامل من وجوه كثيرة، ولد في بلدة كركوك سنة 1880 م، سمعت أنه توفي في قبل بضع سنوات وذكر لي أنه من الكاكائية.

كتب الكاكائية

لا يعتمد على الكاكائية فيما يقولونه، إلا أن يؤيد من غيرهم، بل يصرحون بأن عقائدهم مكتومة، ولا يبوحون لها ولا يجوزون هتك السر، ولا يعول على أعدائهم، ومن يقول عليهم، والمشاهدات لا تصدق كثيراً، ومن الضروري التحري عن مؤلفاتهم، حاولنا محاولات كثيرة، وراجعنا أصحاب هذه النحلة، فلم نظفر بطائل، ولم يبطئ خذلان، وإنما استمررنا في طريق التتبع، وهذا ما دعا أن نتمكن من معرفة جملة كتب لا تزال مرعية عندهم مما توصلنا إليه:

1- خطبة البيان: من أشهر ما عرف عنهم، يعدونها من أعظم كتبهم وأجلها، لا يرغبون في أن يطلعوا أحداً عليها، أو أن يقرأها امرؤ غيرهم، لما فيها من غلو وأوصاف وتنسب إلى الإمام علي (رضي الله عنه) ويطعن بها علماء الأخيار من جهة أنها خبر آحاد وضعيفة السند لاسيما وأنها منقولة من مشارق الأنوار للشيخ رجب البزسي وقد حكم العلماء بغلوه لمخالفته لصريح الكتاب شاعت هذه الخطبة من طريق الغلاة من نصيرية وخطابية وشلمغانية وأمثالهم، وهي من موضوعاتهم.

وعليها شروح كثيرة، حصلت على شرح مخطوط كتب باللغة التركية، وفيه ما يعين معتقدهم، ومن الخطبة نسخة في دار كتب المشهد الرضوي، وهذا مؤدى ما قاله صاحب الفهرس:

هذه الخطبة منسوبة لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) مشتملة على الكثير من المغيبات والملاحم، ومعروفة عند أرباب الحكمة العملية، وأصحاب الباطن، مسطورة في بعض الكتب، ولكنها لم تدون في كتب الحديث المعروفة للإمامية، وأوها بعد البسملة « الحمد لله رب العالمين بديع السموات وفاطرها » وساطح

المدحيات ووازرها... إلخ، كتبت سنة 923 هـ، بقلم جمال الدين المقرئ درويش علي".

ومن هذه الخطبة نسخة في مكتبة برلين.

وجاء في كشف الظنون أنها سبعون كلمة، قيل: إنها من المقتربات، ولها شرح بالتركية مجلد، معروف، متعاون بينهم، ويتكتمون في مطالعته، ولا يرغبون في إذاعته".

ومثل هذه الخطبة (الخطبة الطنجنجية) و(خطبة الافتخار)، والأولى شرحها الشيخ كاظم الرشتي في مجلد واحد، ذاعت من طريق الغلاة كما ذاع خبر معرفة الأئمة بالنورانية، وخبر بيان مقامات المعرفة للقائلين بألوهية الإمام علي وأولاده، فأنكر جمهور العلماء نسبتها وإن كان قيل أرباب وحدة الوجود بها من وجه وكان الكشفية قد قبلوها وأبدوا صحتها، ويعد الكاكائية من أهل الوحدة، وقبلوها كقبولهم، إلا أن الكشفية لا يقبلون الظهور والوحدة إلا في الأئمة.

2- (جاودان عرفي):

وهذا يعد من كتبهم المهمة، ونرى فضل الله الحروف يصاحب مكانة في نفوسهم، يحترمونه، ويرجعون إليه في مطالبهم، بل يتبعون آراءه وكتابه جاودان عندي نسختان منه، وهو منتشر اليوم فيما بينهم باللغة التركية، وباللغة الفارسية، ورأيت نسخة منه في التركية بإستانبول، طبع من مدة طويلة، وكتب الحروفية من كتبه ذكرتها في تاريخ العراق".

3- حياة: لم أره وإنما أسمع عنه.

³⁹ فهرس خزانة المشهد الرضوي - الأخبار، ص 37 برقم 4227 أو، ج 1، ص 36.

⁴⁰ كشف الظنون، ج 1، ص 360.

⁴¹ شرح الخطبة الطنجنجية للشيخ كاظم الرشتي المتوفى في 9 ذي الحجة سنة 1259 هـ - 1884 م، عندي مخطوطة منها كتبت بخط نفيس جداً مجذولة بالذهب، وعندي غالب كتبه مخطوطة.

⁴² تاريخ العراق بين احتلالين، ج 2، ص 246 وج 3، ص 45.

4- توحيد: وهذا فارسي، تأليف سليمان أفندي الكاتبي، وهذا لم أره أيضاً، ولكن أكدي عديدون منهم أنه من كتبهم المعروفة المتداولة.

5- ديوان ويراني.

6- ديوان أبدال.

7- بكتاشي نفسلري: وهذه يتغنون بها، أو يستظهرونها، وهي مختار شعر البكتاشية.

8- ديوان نسيمي: متداول كثيراً.

9- ديوان فضولي: مثل سابقه، وهو أقرب إلى الفزلباشية إلا أن الشعر مشترك.

10- ديوان روحي: منشتر فيما بينهم.

11- فرقان الأخبار: وهذا للحاج نعمة الله، وتوفي نحو سنة 834هـ- 1430 م، وعزته دائرة المعارف الإسلامية لأهل الحق، وهؤلاء معين الكاكائية، وهم من أتباع الخلاج، وعندي نسخة مخطوطة في أهل الحقيقة.

12- فرقان أهل الحق: لم أتمكن من مشاهدته.

13- كتاب سرانجام: ألفه ملا عابدين، وهو من كتبهم المتداولة اليوم، نقله معالي الأستاذ بهاء الدين نوري إلى العربية، ولم يطبع.

ويعد من الكتب المهمة في ظهور الله تعالى في بنت عذراء، وخروجه للعالم، وكان ظهوره لمرات منها (علي المرتضى)، وآخرها (شاه عالين) وفيه معارضة ظهوره من أمراء الأكراد، ثم الإذعان لقدرته وعظمته والإيمان به.

وافق ظهوره أيام بابا طاهر (النري) أو بعده في تكية بهمدان وتجلت قدرته في مواطن، وجاء لفظ (كاكا) وصفاً لأتباعه، ولم تتعين نسخة هذا الكتاب وإنما نقل إلى الإنكليزية، ولم يسم الأمراء الذي أطاعوا وأذعنوا للقدره ليعرف زمنه بالضبط إلا أن بابا طاهر النري يعين نوعه، وفي هذا الكتاب تظهر العلاقة بالتكية ويعرف بالظهور، وهو عين ما عند الكاكائية، وللكاكائية في منالي تكية باسم بابا طاهر، ولا يبعد أن تكون على مثال تلك التي في همدان.

14 - زبور داود: عندي نسخة منه عربية مخطوطة.

15 - ديوان بسيني: مملوء غلواً وهو الوحيد الذي يصرح به أنه نصيري.

ذكرت دائرة المعارف الإسلامية الكتابين فرقان أهل الحق وسرانجام وهما من كتبهم قطعاً وأهم الأخية القزلباشية مرعية عندهم، ولا يفترون عنهم، وإن هداية، ومرشد، وبويروغ من كتبهم أيضاً، وإن طريقتهم هي طريقة الشيخ (صفي) صافي أحد أجداد الشاه إسماعيل الصفوي، ولا تختلف إلا في الأخذ عن الرؤساء.

هذا ونقل كثيرون أنهم يقولون: «كتابنا في الشجرة، فأكلته البقرة»⁴³ ويعنون أنهم ينحون باللائمة على أهل الرسوم، فمن الأولى أن لا يقرؤوها وأهل قلم حاج ودو شيخ "على هذه الطريقة، وأكد لي الأستاذ هجري دده أنهم لم تكن لهم مؤلفات، وإنما كتبهم صدورهم يحفظون بعض المقطوعات الشعرية يعبرون عنها (بأنفاس) لأكابر شعرائهم، وهي مختارات شعرية.

قلت له مرة: إن الوثائق التاريخية قد تكون مفقودة، أو تعوز من جهة أنها لم تدون في وقتها، أو أصابها الدمار أو عند من لا يعرفون لها قيمة وقد أهملوها، أما القوم فلا يزالون، وكيف لا تكون لهم (طريقة) وأنت مرشد معروف؟! وإلا كيف يسوغ لك أن تتكلم؟

تلعثم، وقال: أتحرى بعض الكتب، ولكنني قطعت الأمل منه، ولم أظفر بباطل، وقلت إذا كان منك هذا التخفي، فلا مجال إلا أن تركز إلى المسموع، وتميل إلى المتقول حتى يتبين خلافه، ويظهر سواه، وكيف تمنع من إبداء الحقيقة؟ بل لماذا تلومون غيركم في القول عليكم، أو القول فيكم؟

كل هذا لم تبد له فائدة، وكيف تبدو والأساس أن يكتف، والكتب المذكورة لا تعين سلوكاً ولا تبين طريقة؟

⁴³ منقول عن دي شيخ وقلم حاج في منديلي، ذكر ذلك لي الأستاذ السيد خطاب المحامي. وكان قاضياً هناك في العهد العثماني.

⁴⁴ مر الكلام عليها وأنها على رأي يراد بها (شيخان) كما في لغة العرب، والصواب أنها (دي شيخ) كما ينطق بها ومعناها قرية الشيخ، قال ذلك في سياحته حدود.

عقائد الكاكاكية

عقائدهم إسلامية إلا أنه دخلهم الغلو، ولعل أكبر مؤثر على هذه العقائد (الحسين بن منصور الحلاج)، وأن الوقائع الكثيرة دعته أن يتكتموا، وكانوا تأثروا كثيراً برجال السهروردية الذين جعلوا كتب الغلاة أصلاً لتصوفهم، وأول ما دب ذلك في هذه الطريقة كان في أواخر القرن السابع، فيها بعده.

لا يستطيع المرء أن يتمكن اليوم من معرفة عقائدهم بوضوح، فإيهم لا يصرحون بها ولا يعلنون عنها، وفي هذا الغموض لا نريد أن نشوشها عن أكابرهم، والمعروف منهم قطعاً من آثارهم، ومن الخطأ أن نقول: إنهم يعتقدون أن علياً (رضي الله عنه) إلهاً، أو أن من ذكرتهم (دائرة المعارف الإسلامية) من ذكر (أهل الحق) وأنهم غيرهم فهذا غير صواب، بل الكل على عقيدة واحدة.

1- الاعتقاد بالله:

وهذا عندهم من أعوص العقائد وأكثرها غموضاً وتبسيطه عندهم مبني على أن الألوهية لا يمكن إدراك كنهها، ولا تصح معرفتها بوجه أو لا يتيسر الاطلاع عليها، أو الوقوف على معرفتها من جراء أن الله لا يصح وصفه أو نعتة ليس من الصواب تسميته، أو الاتصال به من طريق ما إلا في حالة واحدة بأن يظهر في الأشخاص رافة منه بهم، ورحمة، وقد ظهر في أدوار كثيرة (أدوار الظهور)، يرون أن البدن واسطة الظهور وأن الله نور لا يمكن وصفه، ولا إدراكه، ولا معرفة حقيقته بوجه.

وإنما برز للعيان بطريقة الحلول، والاتحاد ملازم له، غير منفك في أشخاص كانوا أمام العين، ترهقهم الأنظار، وتشاهدهم الأبصار، ممثلين لا يرتاب فيهم مرتاب، كما أن الملائكة تتقمص صور البشر، وذكرت في (تاريخ العراق بين

احتلائين)“ عن (العلی اللهیة) ما یوضح هذه العقیدة عند هؤلاء، بل لا یقولون باختصاص الإمام علی (رضی الله عنه) بهذه الخصیصة، وإنما نال الكثیرین الظهور قبله وبعده، وهؤلاء معروفون عندهم، ویرددون ذکریاتهم.

والنصریة علی هذه العقیدة أيضاً ویزوون ممن یرقول بالاختصاص، وليس هناك من یعتقد بألوهیة الإمام وحده دون غیره، وكلام البندیجی، وصاحب النواقض صحیح فی قضیة الحلول“، وأنهم نصریة بهذا المعنى، أو یشترون معهم، بل قد لا تكون علاقة بینهما ولم تظهر صلة ما إلا أنهم یتفقون معهم فی ذلك، وأصل هذه العقائد معروف، وكذا عند أهل الإبطان، ومن رجع إلى كتب فرق والنحل علم ذلك بوضوح، قال ابن ساعد فی كتابه (إرشاد إلى أسس المقاصد):

ومن الفرق (الحلولیة) و(الاتحادیة) ومقالاتهم متقاربة إلا أن تصورها عسر فیقال: إن الحلولیة یدعون حلول روح القدس فی قلوبهم عند نهاية العرفان والتجرد، والحسین بن منصور الحلّاج یقال عنه هذه المقالة.

ویقال: إن الاتحادیة یدعون اتحاد سر العبد بالمعبود عند نهاية عبادته، وبالجملة فالتعبیر عن مذهبهم مشكل فكیف تحقیقه. انتهى“.

والحق أن هؤلاء لم یفرقوا، وجاء توضیح الاتحاد والحلول فی (كتاب أو صاف الأشراف) وفی كتب كثيرة ظهرت وتداولتها الأیدی، وفرق بینهما.

فهذه العقیدة عقیدة الكثیرین من غلاة التصوف ولا یصح توجيه اللوم علیهم وحدهم، وهنا یلاحظ أن الاشتراك مع النصریة فی ناحية قد یوهم أنه فی الكل والحال أنهم لا صلة بینهم، ولا اتصال مشاهدأ، وكتب النصریة عربیة، سالكة عین السلوك إلا أن هؤلاء شاع عندهم (كتب الإیرانیین والترك) لا من طریق النصریة مباشرة، والاختلاف فی اللغة بین، وكل ما هنالك أن القوم یعتقدون بالحلول.

⁴⁵ تاریخ العراق بین احتلائين. ج. 3، ص. 180 و ج. 3، ص. 151 و 153.

⁴⁶ یأتي الكلام تعلیها.

⁴⁷ إرشاد المقاصد إلى أسس المقاصد. ص. 65.

ولا يبعد أن يكون الأصل واحداً إلا أن الأقرب أن تكون دخلتهم هذه العقيدة من طريق (عبادة الأشخاص)، وتتفق وسائر عقائد الغلاة وعقيدة الإسماعيلية والدروز، فالأمر غير مقصور على النصرية، اعتقدوا بصلاح رجالهم وأكابرهم اعتقاداً خرجوا به من طريق المباحثة، ورسخ كعقيدة لا تنزعزع، وإلا فالكاكائية في الأصل أرباب طريقة الفتوة أو طريقة السهروردية أو الطريقة الصفوية ولا يختلف بعضها عن بعض فدخلهم ما دخلهم.

نعم إن هؤلاء الآن أقرب إلى النصرية وإن كنا لا نجد لهذه أثراً لهذه التسمية ولا إشارة بوجه، ولعلمهم تباعدوا من زمن قديم من جراء بعد الدار، وبسبب الاستقلال برؤساء انقطعت علاقاتهم بأولئك، وهكذا، فإذا كانت لا تبوح بسرّها، ولا تعلن عن عقائدها أو تباشّر الدعوة فقد جهروا بها ببعض هذه المطالب، ولعل هذا أعظم مكتوم، وأبرز مفهوم، عرف عنهم من أيام صاحب كتاب التواضع ومن بعده، ولكنه لا يدخل في تحقيق بل هو بين تأييد أو إنكار للتعمية والتشكيك.

وفي رحلة المثني البغدادي لا يفرق بين القزلياشية، وبين كاكائية، وإنما سمي الكل بالعلّي اللّهيّة، ومن أبرز صفاتهم اعتقاد الحلول والاتحاد لا علي (رضي الله عنه) وحده ونحلة وحدة الوجود معروفة بينهم قطعاً، فلا يصدق عليهم هذا الوصف من كل وجه، إلا أنه أشهر أو صافهم فشاخ عنهم.

وخير ما ينطق عن هذه النحلة أو الطريقة شعرها المتداول المألوف، وفي شعر نسيمي الذي يرددون ذكره بينهم "، وفي مقطوعات (ويراني)، و(إيدال) ما يغني عن تحري عقيدة أخرى غير الحلول فهي عقيدة أساسية، لا يتهاونون بها بوجه، ومتى يجري الحلول؟

إن هؤلاء يقولون: النفس أو الروح تظهر بـ (طريق التناسخ) وينالها الصفاء، ويكون في ألف مرة حتى تكون في (1001) قد صارت (مظهراً للألوهية)، أو (محل

التجلي) ولا تكون قبل هذا، ولكنها قد تظهر، وتصفو قبل الألف مرة، وتظهر عليها بعض الخوارق، ولا تكون بوجه محلاً للتجلي إلا بعد أن نجتاز المراحل، ولكن ظهور بعض الخوارق لا يخول الادعاء أو القول بالحللوس سوى أنها تحترم من جراء صفاتها.

ومن ثم يتعين أن المرء منذ الحلقة الأولى يتقبل بطريق التناسخ، ويقضي أدوار تنقله كلها (1001) ومن ثم يناله الحللوس في المرة الأخيرة، ويكون (الله)، ويقولون: إن الله تعالى لا تدركه الأبصار مجرداً، ولا تصفه العقول، وإنما يظهر للعيان من هذه الطريقة أعني (طريقة الحللوس) ومن مصطلحاتهم (الكور)، و(الدور).

ولعل هذا البيان كاف لمعرفة التناسخ والحلول معاً عند القوم، وهذه العقيدة دخلتهم في حين أننا لم نجد لها أثراً سابقاً في طريقتهم (الفتوة) وكتبها، وإنما جاءتهم من أهل النحل الأخرى، وإلى هذه العقيدة أشار أبو العلاء المعري فقال:

يقولون إن الجسم ينقل روحه إلى غيره حتى يذبه النقل
فلا تقبلن ما يخبرونك ضلة إذا لم يؤيد ما أتوك به العقل
وهي من العقائد القديمة.

ومما يمثلون به لقبول الظهور أو الحللوس أنهم يقولون: إشعاع الشمس أو الثور لا يظهر في كل جسم مثل الحجر، والحديد، والخشب وهكذا، ولكنه يظهر في المرأة، ويتجلي في ذاتها كأنه عين ما مثل، وهكذا الأجسام الصافية المصفاة، وعندهم وقائع محفوظة تدل على الحللوس.

2- وحدة الوجود والموجود

وهذه ظاهرة في شعرهم أيضاً، بل هي أصل الحللوس وسابقة له في العقيدة، ولا يسلم بالحلول والتناسخ إلا بعد التسليم بها، وينطلقون بها كثيراً ولم يخرجوا بها عن سائر الشعراء من أرباب الوحدة من أهل التصوف وأهل الإبطان الذين يعتقدون أن الكون هو الله، أو أصله الله، والكل يرجع إليه، ويعود إلى حقيقته، ومسائل

الوجود، والماهيات مجمولة أو غير مجمولة عما هو معلوم في مؤلفات كثيرة، ومبسوط في كتب كثيرة جاء مفسراً لذلك.

وهذه العقيدة تختلف كثيراً في شعرهم وفي عقائدهم فيراد بها الموجودات، أو ماهياتها قبل أن تنال أو صافها المشاهدة، وهكذا الاختلاف لفظي من جراء أن النتيجة واحدة تباين فيها.

والكشفية في العراق كثير منهم لا يقبلون بالوحدة؛ لأنها عندهم لم تجيء إليهم من طريق آل الرسول، وعدوا أربابها من الملاحاة إذ لم يقصروا الظهور على الأئمة وحدهم، وأوضح ذلك الملا محسن القبض في كتابه (قرة العيون) قال:

« قال بعض العارفين: إذا تجلى الله بذاته لأحد يرى كل الذوات والصفات والأفعال متلاشية في أشعة ذاته وصفاته وأفعاله ويمجد نفسه مع جميع المخلوقات كأنها مدبرة لها، وهي أعضاؤه لا يلم بواحد منها شيء إلا وهو يراه ملهاً به، ويرى ذاته الذات الواحدة، وصفته صفتها، وفعله فعلها لاستهلاكه بالكلية في عين التوحيد، ولما انجذبت بصيرة الروح إلى مشاهدة جمال الذات استتر نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القدسية وارتفع التمييز بين القدم والحدوث لزهوق الباطل عند مجيء الحق (إلى أن قال):

ولعل هذا هو السر في صدور بعض الكلمات الغريبة من مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) في (خطبة البيان) وفي خطبته الموسومة (بالطنتجية) وغيرها من نظائرها كقوله عليه السلام: أنا آدم الأول، وأنا نوح الأول، إلى آخر ما قال من أمثال ذلك. انتهى».

وله كتاب (كلمات مكنونة) لا يخلو من أمثال هذه الأقوال، والكشفية يعدون كل ما ينقل عن الأئمة من الغلو لا يسوغ تكذيبه، وإن تضعيف ذلك وتوحيته غير صحيح، ومن يستطيع أن يكذب على الأئمة أو يفترى عليهم، فقبلوا كل ما نقل الغلاة عيناً استناداً إلى هذا السبب.

3- التناسخ:

وهذا من عقائدهم الأصلية ويعد لازماً للحلول، ومتأخراً عن الاعتقاد بالوحدة، بل سابقاً لأصل الحلول، وإن هذا نتيجته، فإذا لم يتم التناسخ، فلا يكون الحلول أبداً، وفي هذا لا يفترون عن (مذهب الاتحادية) من أهل التصوف الغلاة، وهكذا عند النصيرية، وهو تنقل الروح العادية من بدن إلى آخر حتى تظهر وتكون صالحة مجردة عما ارتكبه من أعمال، أو أصابها من مصيبة، أو اقترفت من جريمة.

ومن ثم ترى التباعد عن طريق الفتوة فيما هم عليه الآن ولا تقطع في تاريخ دخول هذه العقيدة في (الكاكائية) بالضبط، بل في أواخر المئة السابعة والثامنة للهجرة، وإذا كانت الطريقة في أصولها لا تزال باقية، فإن العقيدة دخيلة، ولا شك أن الغلاة دخلوا من طريق التصوف، وهو (تصوف الغلاة)، وهذا لا يفترق عن (عقائد النصيرية)، وعن (عقائد الدروز) و(الإسماعيلية) في حقيقته وماهيته، وأمثلة هذه العقائد يوضحها ما يعتقدونه في الشيخ إبراهيم (أحد مزارعهم الآن) أنه ظهر لست مرات، وسيظهر للمرة السابعة، مما يوضح فعلاً عقيدة التناسخ والحلول. ثم إن الاتحاد من مظاهرها.

كانت الأخية القديمة أو الكاكائية الحاضرة تابعة لطريقة الفتوة، ثم مالت عن (أصل العقيدة) بدخول أهل الإبطان بين صفوفهم، وبرزت عقائدهم، وإن كانت لا تزال ظواهر الطريقة باقية، كانت دخلتهم لأول مرة نحلة (الإسحاقية) وإن (سلطان إسحق) المعروف اليوم هو مؤسس نحلتها، وكانت في العراق، فلما رأته تضيقاتاً، وشاهدت تعدياً ومناوأة تقمصت بالأخية أو الكاكائية، وأبدلت الاسم، وأبقت العقيدة أو أنها دخلتها هذه العقيدة مؤخراً وهو الأرجح، إلا أننا نعوزنا النصوص في تاريخ العقيدة، وتاريخ الطريقة، ومعرفة سبق أحدهما على الآخر؛ لأن الأمرين مشهودان.

وهناك أمر آخر غير النسخ يسمى بـ (الرسخ) وآخر يقال له (المسخ) وهذه مصطلحات معروفة للتفريق بين المراد من كل واحد على حدة، فيستقل كل مصطلح بمعناه.

4- القرآن الكريم والرسول:

وهؤلاء لا يتلون القرآن، ويعد في نظرهم غير معتبر؛ لأنه من جمع عشان (رضي الله عنه)، وعندهم داود يرجع على النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولم يكن هذا هو النبي داود (عليه السلام)، وإنما هو من رجاهم أصحاب الحلول، وله (كتاب زيور داود) عندي نسخة مخطوطة منه.

يقولون: إن القرآن من نظم محمد (صلى الله عليه وسلم) ولا يستدلون بآية منه إلا لغرض تأكيد عقيدتهم أو بقدر ما يراعي فضل الله الحروف في من تأويل آياته لتوافق ما عندهم من إبطان، وعندهم مقطوعات شعرية لأهل الظهور ترجع على القرآن، وخطبة البيان لا يرجع عليها القرآن.

يقولون: محمد كبير، ويقفون عند ذلك باعتبار أنه ملقن من الإمام علي، ولكنه راعي الظاهر ولم يبال بالباطن، بل لم يقف عليه ولا على دقائق أسرارته، ولا على مراد الإمام علي.

5- اليوم الآخر:

كل ما حاولت تفهمه أنهم يريدون (باليوم الآخر) يوم (ظهور الله) في شخص وحلوله فيه، وهو اعتقاد (غلاة التصوف) أنفسهم، وهذه العقيدة هي معتقد الغلاة الآخرين، وهي في الأصل لا وجود لها عند المسلمين، بل يكفرون القائلين بها، وإن الاعتقاد باليوم الآخر من أركان العقيدة الإسلامية، والمنقول أنهم يلقنون موتاهم بقولهم:

إذا جاءك منكرو ونكير فقل: عندي كذا حنطة وكذا شعير، وكلها مدخرة في المخازن الغلانية، فإذا لم يرض فأعطه صحن عدس، وفنجان خمر فإن لم يقبل فقل

له: أنا كاكائي اغرب عني، واذهب إلى غيري، وحيثذ يذهب عنك وامض أنت إلى الجنة.

وهذه القصة تؤيد أنهم لا يلقنون الميت بالشهادتين، ولا يبالون بالموت مما يؤيد الانتقال والتناسخ إلى أمد بعيد فلا معنى للركون إلى هذه العقيدة أعني الاعتقاد باليوم الآخر، ولا يعرفونها، وهذه القصة منقولة عن الشيك أيضاً، والكاكائية لا يكون على ميت بعويل وصراخ، وعندهم الحزن عليه غير جائز سوى أن القبور عندهم محترمة، وإذا مات امرؤ جاؤوا إلى مرقده بطبول (دماصات) واحتفال مهيب، ولعل للاعتياد دخلاً في ذلك.

والملاحظ أننا لا نراهم يتفرون من عقيدة، ولا يبالون بها، وعندهم لا فرق بين واحدة وأخرى، ولا يعدون أنفسهم مكلفين بواجب شعبي، ومن الكتب التي كانت في مشهد الإمام أحمد في كركوك (ديوان فضولي)، و(خوشيار دده) و(حافظ الشيرازي).

ومن المهم الإشارة إلى أنهم يعتقدون بصدق كافة العقائد وإن كانت متباينة أو متخالفة، فلا يفرقون في هذه الحالة عن سائر الغلاة، ومنهم (غلاة التصوف) أبداً، والأسس واحدة.

وكل ما يقال في اليوم الآخر عندهم أنهم يفسرونه بظهور صاحب الظهور ومتابعته وأن معرفته حياة أخرى، وفي كتب البكاشية مثل (كتاب آخر تنامه) لابن فرشته ما يوضح ذلك ويقول: هذه العقيدة تعني معرفة هذا السر.

الإسحاقية

ويوضح عقيدتهم هذه ما حكاه لي بعض رجالهم "بكل صراحة إن الأعظم الذين نعتقد فيهم أنهم أنبياء، أو أئمة، أو أولياء، كيف يسوغ لنا أن نقول أنهم ماتوا؟ نحن لا نقول ذلك، وإنما نقول بانتقال أرواحهم بطريق الحلول كما مر الكلام على السيد إبراهيم فالأرواح تنتقل وتتناسخ.
قال محدثي بهذه الكلمة، ذكرها لا شائبة ولا تردد.

ومن مشاهير رجالهم داود، وإسماعيل، وإسحاق، وهؤلاء مشايخ ولم يكونوا أنبياء، ولهم طاعة عمياء للرؤساء وإن رجالهم المذكورين نسوا حالاتهم الأولى ولم يعودوا يعرفون عن تراجمهم شيئاً، وقد حاولت كثيراً أن أجد عنهم شيئاً، فلم أظفر بباطل، وأساساً أن جبال حلوان موطن الغلو، ومحل انتشاره، والإسحاقية كانوا هناك، وهؤلاء بقاياهم، أو صاروا إسحاقية وحافظوا على اسم الكاكائية.

قال السمعاني: « جماعة من أهل الشيعة يقال لهم الإسحاقية نسبوا إلى إسحق بن محمد العجمي "الأحر الكوفي، يعتقدون في علي الإلهية » وبعد أن عدد المنتسبين إلى الإسحاقية قال:

« وأبو العلاء صاعد بن يسار، الإسحاقية، توفي سنة 520 هـ، وكان متصرفاً من جنازة جابر بن عبد الله الأنصاري من (كار باركاه) فبات بفروج قرية على طريق جماعة من أهل الشيعة يقال لهم الإسحاقية. انتهى.

هذا مع العلم بأن جابر الأنصاري لا يزال مرقده معروفاً في أنحاء الدر الفيلية ويدعى (باوه جابر الأنصاري)، واليوم غالب اللبك، والكلمهر منهم، انتشروا في هذه الأنحاء ولا يزالون، ولم يبق ارتياب في أنهم من بقاياهم، تقمصوا (الفتوة)، ولعل

⁴⁹ الأديب خضر لطفي.

⁵⁰ لباب الأنساب لابن الأثير، ج 1.

هذا سبب تكتهمهم، يخشون الوقعة، والأيام في ذلك الحين كانت تجارها قاسية جداً، وفي مفاتيح العلوم للخوارزمي أن الإسحاقية نسبوا إلى إسحق بن عمرو، وفي رسالة مخطوطة عندي ناقصة الأول.

ولم أتمكن من معرفة مؤلفها يقول عن الإسحاقية نسبوا إلى إسحق بن عمرو، وفي رسالة مخطوطة عندي ناقصة الأول، ولم أتمكن من معرفة مؤلفها يقول عن الإسحاقية: إنهم يقولون بمقالة النصيرية في الجملة، وبينهما خلاف لا يطلع عليه غيرهم لإخفائهم كتبهم، وقد علمت من خبرين أنهم يشتركون والنصيرية، ولكنهم يختلفون في بعض المطالب.

أرى في هذا كفاية مما يبصر المتتبع، ويهديه للتوصل إلى الغرض، ولا معنى لتدوين جميع ما يسمع عنهم، فنحفظ الصواب بالغلط، وإننا ذكرنا ما تأكد بالنصوص التاريخية وهو معروف عنهم، وهنا نكرر أن تحفيهم في كتبهم، واجتماعاتهم السرية ساقط على التقولات عليهم، خصوصاً أن هؤلاء ممن يقول (برفع التكاليف) كسائر غلاة المتصوفة، فأدى إلى الإذاعات المتكررة عنهم، والذي أمكن من المعرفة أنهم لم يتغير موطنهم إلا أنهم تقلصوا عما كانوا، أو مالوا إلى أنحاء (كوران).

ومهما يكن من الأمر فلا جديد تحت الشمس، وإن (عقائد الكاكائية) لا تختلف عن عقائد الغلاة في ضروبها وهي في الأصل (طريقة الفتوة)، فلا تضرب أحاساً في أسداس، أو نبدي تحركات في تدوينات من الشائع، أو مما شأنه أن يؤدي معنى التشنيع، مع أنهم في مواطن كثرتهم لا يترددون من إعلان عقائدهم، وهذا هو سبب تكتهمهم في أمثائن، وإلا فلا يقال عنهم كما قيل عن (اليزيدية) أنهم استولى عليهم الجهل فعادوا لا يعرفون عقيدتهم أو ما مائل فهؤلاء أعرف الناس بما عندهم،

⁵¹ تكلمت على عشائر كوران في كتاب عشائر العراق الكردية في صحائف كثيرة منه.

وبينهم من يناضل عن عقيدة الحلول والاتحاد والوحدة، وأدلتهم بدعما مشاهير من (غلاة التصوف).

والملاحظ أن هذه العقيدة لا تختلف عن عائد الباطنية، تتفق مع القزلباشية من كل وجه، وكلهم يعدون كل من أكمل دورته من التناسخ نال الألوهية بانتقال روح الله فيه لا أنهم يعتقدون بعلي (رضي الله عنه) خاصة بأنه إله، بل يظهر آلهة متوأمين لا علياً وحده، ولكنهم يدعون ذلك (تجليه) ولا يقولون حلولاً، وهذا أشبه بـ (الفيض) وبـ (النفحات)، وإلا فكتبهم مشتركة في الكل بلا فرق، ويشترط عندهم للظهور خوارق يرونها فيمن يتجلى به الله، وهذه لها إشارات وعلامات وإلا فلا يقبل هؤلاء من كل من تظهر منه الخوارق أن يدعى بها ادعى به من الظهور.

ولا تختلف القزلباشية عنهم إلا في أن طريقتهم طريقة الشيخ صفي الأردبيلي، والكل مشتركون في الأخية إلا أن الرؤساء افرقوا، وأثلها كلها الفتوة، عرفت لما يلبسونه من قلنسوة، واللفظة تركية صاحبها يقال له قزلباش (أحمر الرأس) ويراد به صاحب القلنسوة الحمراء.

المؤاخاة

هذه من أساسات نحلّتهم، بل أنها مأخوذة من (طريقة الفتوة)، أو السهروردية، فالباباوات في الأصل رؤساء الطريقة، يؤاخون بين بعضهم البعض الآخر، ويكونون (إخوة) أي (كاكائية)، لا يفرقون عن الإخوة بوجه، ولها مراسيم يجتمعون عليها، ويقدم الواحد ما عنده من طعام ويقرأ دعاء الاحتفال هذه، وإجراء الفرح من أجلها ولها عندهم مكانة كبيرة ومنزلة رفيعة، ولا تخلو كاكائي من مراعاتها، وربما شاركوا الإسماعيلية فيها على أساس ﴿ فَقَدْ مَوَّأَ بَيْنَ يَدَيَّ تَجَوَّنُكُمْ صَدَقَّةٌ ﴾ [سورة المجادلة: 12].

ويقوم بها السادة (الباباوات) يعقدون لها، ويمنع الأخ من التزوج بأخته، وتعد أمها أمه، وأخواتها أخواته، وهكذا.

وأصلها من المؤاخاة بين الصحابة، ولكنها تطورت، وفي الطريقة السهروردية جاء أنه: « من أدبهم أنهم لا يرون لأنفسهم ملكاً يحتصون به، » وجاء فيها أيضاً أن من أخلاق السلف أن كل من احتاج إلى شيء من مال أخيه استعمله من غير مؤامرة، وهكذا حتى اكتسبت شكلها الحاضر عندهم، ومثلها (كريف) (قريب) عند اليزيدية بلا فرق، بل عند الباطنية جمعاء في غالب مؤسساتهم.

طبقاتهم وصفوفهم

1- السادة: هؤلاء هم الأمراء ورؤساء الدين جمعوا بين الإمارة والرئاسة الدينية.

2- الدليل: ويسمى عندهم (مام)، وأصلهم خلفاء سلطان إسحق من غير السادة، ولهم منزلة عندهم، ويتولون الإرشاد، ويقال للواحد منهم (مرشد) أو (بابا) وهم صنف خاص (البابائية).

3- الإخوان: هم الباقون المعروفون بصورة عامة (كالكائية)، وهذا اسمهم المعروفون به، وفي الأخوة تتجلى (الفتوة) أو (الكائية) أو (الأخية) وغرضها التعاون.

اللعن والسب

هؤلاء يستنكرون اللعن والسب، فلا يضمرون لأحد غيظاً، فلا يسبون أحداً، ولا يحتقرون ديناً، ولا ينددون بعقيدة.

هذا ما عرف عنهم بصورة واضحة، فلا يبينون أصحاب عقيدة، وعلى كل حال نجد اللعن والسب ممقوتاً من كافة طوائف الصوفية، وكثير منهم يشدد النكير على من يسب، وقد بدا من بعض فرقهم أن لعن الشيطان محظور، وإذا كان علماء في بعض طوائفهم، فلا شك أن ذلك يدعو للشمول، ولعل بعض طوائفهم هذا شأنها دون سائر الطوائف.

والمعروف عنهم أنهم يحترمون الشيطان وأكد لي كثيرون أنهم لا يسبون إبليس ولهم عقيدة فيه كمتصوفة كثيرين لا تختلف عما عند اليزيدية، كما أنهم لا يصقون على الأرض حذر أن يفهم من ذلك السب.

ويعدون من أشخاصهم التاريخية:

الحلاج: وعقيدة أهل الحق ترجع بالانتساب إليه.

وبدر الدين السماوي.

وشاه إسماعيل.

ملا عابدين: معاصر بكتاش ولي، شرح خطبة البيان.

محيي الدين بن عربي.

شمس الدين الفريزي: منهم.

نبازي: وله ديوان، وغالبه في الحلول والانتقال.

نياقي: ديوانه طبع في إيران.

نظير دده: جد الأستاذ هجري دده.

شيخ بابا على المدفون في السليمانية، (توفي قبل مئتي سنة).

فضولي.

نسيمي.

أبدال.

قوشحي أوغلي: وله أشعار تركية متداولة.

وأصل مؤسس هذه النحلة أو الطائفة سلطان إسحق ابن الشيخ عيسى ابن

الشيخ علي الهمذاني.

هذا ما علمته منهم، وبعضهم لا يزالون يكررون شعره، يرددون مقطوعاته

المسماة (بويرق).

ولعل هذا النسب جاء للتعمية وإلا فالمنقول عن إسحق الذي هو أصل

الإسحاقية غير هذا، وربما جعل الصلة للتشويش على الذين لا يعرفون.

أعيادهم

لا يراعون العبادات والتكاليف الشرعية، ويعرفون (بالنيازية) أعني أصحاب النذور، كما يدعون غيرهم (بالنيازية) أي أهل الصلوات، ولكن لا يخلون من القيام ببعض المراسيم الدينية، ففي 11 من كانون الثاني من كل سنة يقومون بصيام واحد يدعونه (يوم الاستقبال)، ثم يصومون ثلاثة أيام يدعونها أيام الصوم، ويوم واحد بعدها ينعثونه بيوم العيد، وليس لهم غير ذلك.

ويقال: إنهم يصومون أول يوم عطارد المعروف بطلوع سهيل يصومون يوماً عنه، ولكن بعضهم ينكر وجوده وبعضهم يؤيده، وربما كان يوافق ذلك اليوم طلوع سهيل، ويقال: إن الليلة التي ينعثها أعداؤهم بـ (ليلة الكفشة) ويسمونها كثيرون بـ (الكفشة) أو بـ (الكرفشة) جاءت قديماً باسم (الماشوش)، أو (المشوش) ونسبت إلى طوائف وأديان كثيرة⁵² وفي كتاب معنى ملوك الأرض.

وفي ديوان أبي نواس وفي كتب كثيرة، وغالب ما نذكر في أن القوم يطفئون السرج ويتصل نسائهم برجالهم، وأوضح ما رأينا ذلك في كتاب الفرق بين الفرق وجاء في الرسالة جماع هذه النصوص⁵³ وغيرها ولكننا لا نعتقد أن مثل هذا موجود في أمة أو قوم، وعند الكاكائية اجتماع أهل النحلة لأموار دينية، أو للتعارف وما مائل، وتكون في هذا اليوم، ولعلها يوم العيد المذكور يحتفلون به وهم:

1- النياز أي النذور: أطعمة لا تقتصر على وقت بعينه تقدم نذراً وهي جاترة وفي كل حين.

2- القربان: وهي الأضحية، أو الذبائح، وتجري في خلال شهر من كل موسم وتكون تابعة لقدرة المرء واستطاعته، ولا يحدد مقدارها، ولا وقته، وهي النذور في

⁵² لغة العرب، ج 5، ص 368.

⁵³ الرسالة (المجلة المصرية) عدد 743 و22 أيلول سنة 1947م.

الأولى والقرابين في الثانية، لا نرى مثل الكاكائية وديعين، مسالمين، فهم أخيار في أخلاقهم، ومن أمثالهم المعروفة:

(1) من رمانا بحجر شل عضده (بزد طاش أتانك فولي دارا ولسون) فلا يتصور أنهم يعتدون على غيرهم، هذا ما يقولونه، وهي ينبي عما هناك من خطة أو طريقة لهم، فلا يصح أن يقال: إنهم يقعون شراً بأحد.

(2) من أقوالهم (من باع دينه بديناره، أو من قال: أنا فليس منا) أو كما يقولون: (دينتي ديناره صاتان، من ديبه، بردن دكل) هذا من كلماتهم المتداولة المعروفة.

(3) من أصولهم أن لا يحتقروا ديناً، ولا يتتهكوا حرمة عقيدة، ولا يطعنوا بأحد، بل يعدون ذلك من دعوتهم إلى الإخاء البشري، أو الألفة مع كل أحد، وهذا معروف عنهم في العراق، وفي بلاد الترك، ومع هذا تراهم متكتمين في عقائدهم.

الزواج والطلاق

عندهم الزواج مرعي، ولكنه غير تابع لمراسيم، أو احتفالات خاصة، وإنما هو عقد بسيط، ويكون على يد شيوخهم، ولا يشترط فيه رضا الأولياء والأقارب، وإنما يتوقف على رضا الطرفين، ومبناه أن يحبها وتحبه، فيوافق الواحد الآخر، ويجري يوم الإثنين والجمعة، وهذان اليومان محترمان عندهم، ويعد يوم الإثنين أكبر فلا يعقد في الغالب إلا في هذا اليوم، ولا يجري الزفاف إلا فيه، والاجتماعات العامة تجري في هذا اليوم أيضاً.

وعندهم تعدد الزوجات مسوغ، أو هو خلاف أوامرهم الدينية، ولكن هذا لم يراعه كثيرون منهم إذ تشاهد منهم من تزوج بزوجتين أو أكثر، ولا يتزوج المريد بنت شبيخة (من السادة)؛ لأنها بمنزلة أخته، وكذا الشيخ لا يتزوج بنت مريده أو أخته؛ لأنها بمثابة بنته.

وأما الطلاق فعندهم ممنوع قطعاً من أحد الطرفين، وتعليقهم أن العقد جرى برضا الاثنين فلا ينقض أو يبطل إلا منهما معاً لا يستقل به واحد دون الآخر، وإذا كان برضا الاثنين جاز ولا مانع منه، وعلى كل حال إن هؤلاء أهل بادية، وليس لديهم مراسيم ولا احتفالات كما هو المشهود في المدن، والغالب هناك وفي تلك الأنحاء أن ينهب الرجل من يتفق معها، ثم يصالح أهلها، ولا يختلف فيه أهل مذهب، ويعد ذلك عزة للمرأة، فالتى لا تنهب لا تعتبر لها قيمة سنية!!

عادات بارزة

إن عاداتهم وقواعدهم لا تظهر مجموعة في ناحية، ومنها كلها يتعين ما يستحق التدوين:

1. لا يقصون شواربهم، وهذا ما حدثني مشاهير رجالهم أنها علامة للتفريق وأن يميزوا، والحال أنها كما عند (القزلباش) يقال: إن الإمام علياً شرب بقية الماء الذي رصب في مرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) عند غسله بعد وفاته، ومن ثم صارت تطول شواربه فكلها قصها تعود، وتبركاً بذلك صاروا لا يقصون شواربهم، ومثلهم البكتاشية يراعون تطويل شواربهم.

2. أن يكون الكاكائي أخا الكاكائي وأن تعتبر الكاكائية حراماً عليه فيما عدا الزواج المشروع وأن لا ينظر إليها بسوء وإن تعد الكاكائية الكاكائي أخاها، ويبت الواحد بيت الآخر، وأن لا يميزه عن بيته، فإذا رأى أحدهم أجنبياً مع محارمه فلا يشبه منه حتى أنهم يقولون: إن الكاكائي يجوز له أن ينام معهم في فراش واحد كما لو كان محرماً، لا يشعر بغربة فكانه في داره ولا يجد صاحب الدار ريبة منه، ولما كانت الكاكائيات أخوات الكاكائيين صح اجتماعهم بهن والاختلاط معهن، وليس عندهم تستر، وهذه نتيجة المؤاخاة المارة.

3. أن يطيعوا السيد المعروف بـ (البير) وهو رئيسهم بأن يتابعوه متابعة عمياء، وذلك بعد الاعتقاد بالله ووحديته، واتباع داود مع ملاحظة أنهم لا يعتقدون نبوة أحد، والطاعة عندهم أو البير إذا قال له: افعل كذا لا يسأل عن السبب ولا يفكر فيه، والسيادة عندهم في بيت (السيد محمد)، وهذه متسلسلة إلى إسحق المذكور، وكل الرؤساء تابعون لهم، ومنهم في إيران كثيرون، وبينهم رؤساء ثانويون ولكن الطاعة هؤلاء، وعندهم لا يجوز الخروج عن أمر السادة.

4. التكاثر والتناصر: مويكون بينهم بلا قيد ولا شرط سواء في تعاونهم أو تضامنهم لدفع خطر من الأخطار.

5. لا يقبل السيد أو البير هدية، وله حق التصرف في جميع أموال الكاكائية، ولكن لا يتصرف بها لنفسه وأغراضه الذاتية أو ليكون متمولاً أو غنياً، وإنما التصرف مشروط بما يسمى بالمصلحة العامة والضرورة الداعية، فلا يسوغ له أخذ الأموال إلا عند الحاجة والأمور المهمة أو الحادثة المدهمة، ولعل هذا ما يدعو إلى القول بإباحة الأموال.

6. خيانة الأمانة ممنوعة متعاً باتاً، وكذا السرقة محرمة، ومن المحرمات عندهم الأخذ بخفية، ويسوغ لهم النهب والسلب بقطع الطرق، ومع هذا نرى ييوتهم مفتحة الأبواب فهم في مأمن من جماعتهم.

7. لهم لغة مستقلة يتفاهمون بها، وهي أشبه بلسان العصفير، ولا يطلعون أحداً عليها، لغة خاصة بهم.

وفي الغالب يكرر فيها الجيم الفارسية كما أنهم ينطقون أحياناً بكلمات غريبة لا يفهمها غيرهم وتستعمل فيما بينهم.

8- التكتّم ومراعاة السر التام: وهذا ضروري عندهم، لا يظهرون عقائدهم، ولا عاداتهم ومراسمهم علناً، ولا يطلعن أحداً علها، ويعد هذا التكتّم من واجباتهم الدينية، وفي أنحاء كركوك بضرب المثل بهم في كتم السر وإخفائه فيقال: كتوم للسر كالكاكائي.

9- الخمر عندهم حرام قطعاً، ومن شربها يعد عاصياً، وهذا من أغرب ما قالوه، والمسموع خلافه، ويعد من قبيل التهاون، كثيرون منهم يشبون الخمر ولا يبالون.

10- يتظاهرون بالإسلام، وقد قبلوه ظاهراً، فلو سئل أحدهم قال: أنا مسلم.

11- يوم الإثنين والجمعة: هذان اليومان محترمان عندهم كما تقدم وحرمة الأول أكبر، ومن عوائدهم فيه: الزواج، وكذا الاجتماعات العامة، وتجري في هذا اليوم.

12- أكلة المحبة: تجري في الاجتماع العام، يذبح الرجل ذكاً أبيض ويطبخ معه حنطة أو أرزاً ويقدم ذلك إلى الشيخ، أو أن رئيسهم يذبح شاة أو خروفاً ويدعو أهل القرية فيحضرون رجالاً ونساء وبنات ويجتمعون معاً في مهرجان كبير يشتركون فيه، ويتخذون رقصاً عاماً هو المعروف عند سائر الكرد بـ (الجوي) ويكونون أسرة واحدة، يخرجون إلى البادية.

ولهذا المهرجان تأثير كبير عليهم فيفرحون بهذا غاية الفرح والسرور، ويستأنسون به، ويأتي أهلك لبيت بما لديهم من مأكول، ويتناولون سوية لئلا يتكلف السيد عندهم المعروف بـ (البير) لما لا يطيقه ويقرأ دعاء الألفة على هذه الأكلة وتوزع عليهم، فمن أكل من هذه الأكلة المباركة نال الثواب.

والمسموع أنهم عند الابتداء بالأكل يقول البير: (مشت) وهو الإيعاز للشروع بالأكل، ويسمى هذا الاجتماع بـ (خروس كشان)، وهو الذي صارت تحوم حوله الظنون، ويسمون من أجله، (بجراغ سوندران) وهم لا يشتغلون في هذا اليوم وبعد أن يتموا عملهم ينفضون جماعات.

13- الخلف: لا يخلفون كذباً بالبقرة الصفراء (كازرد)، وبـ (بير خاور) أي شيخ الشرق، وبـ (موجه سفر) وبـ (علي)، مما لا يعلق عليه كبير اهتمام إلا من ناحية الاحترام، ولا يعرف وجه هذا الخلف أو لم يوضحوا عنه، وقد مر ذكر بعضه.

وعلى كل حال هؤلاء كلهم تقريباً من الكرد وبينهم ترك، وعدد من في العراق يربو على العشرة آلاف نفس، أما التشنيع عليهم، أو الإذاعة بغرض بيان ما يلفت النظر، فهذا ليس من شأننا التعرض له، فلم نعلم عنهم شيئاً من ذلك.

العبادات

كل ما عندهم أدعية ومناجاة، ولا يتبع فيها أوقات معينة، أو حالات خاصة وأن عندهم قراءة هذه الأدعية عند بزوغ الشمس، أو عند غروبها معتاداً، وليس لهم صلاة، ولا مراسيم عبادة أو أداء مفروضات.

وغالب هذه الأدعية مملوءة غلواً وشائعة متشعة، فليس لديهم حج، وإنما يزورون مشاهد بعض أكابرهم من أولاد السادة أو من أرباب الحلول، وليس لذلك موسم معين أو وقت مقرر، ورمضان ليس بفرض صيامه، وبين لي بعضهم بأن 27 و28 و29 من شهر رمضان يصومونها، وأكد لي آخرون بأنهم لا يصومونها وإنما يصومون ما بين 10 و15 من كانون الثاني الرومي، وآخرون يبتنوا أنهم يصومون العاشر من أيام شهر رمضان، وهي ثلاثة أيام مما يدل على أنها لا أصل لها، أو أنها اختيارية في هذه الأيام.

نصوص منقولة عن المخالفين

من أهم ما يلفت نظر الباحث أنه حينما يسأل عن تقاليد هؤلاء يسمع كثيراً مما يشنع به عليهم وينقل عن الشيخ رضا الطالباي الشاعر المعروف ما كان قد هجاهم به في قصيدة، كان تحامل فيها عليهم كثيراً.

ويرمون بأنهم إباحية، فتابع شكري الفضلي أيضاً الشيخ رضا، قال:

«يحتم على الكاكائية أن يجتمعوا رجالاً ونساء في ليلة معلومة من السنة في محل خصوص، يطفئون فيها السرج والأضواء، وتسمى عند أهل تلك الأنحاء (ليلة الكفشة) ومن الناس من ينسب هذه الليلة إلى اليزيدية، ومنهم من يعزوها إلى الشبك (كذبة مختلفة) وكانت تعرف هذه الليلة في عصر العباسيين، أو في العصور المتوسطة بـ (ليلة الماشوش) وقد تركوا هذه العادة القبيحة منذ أن فهموا معنى الإسلام وفرائضه فهماً معقولاً. انتهى».

قال صاحب لغة العرب: وتسمى ليلة (الحاشوش) وليلة الماشوش «وأقول: إن الأستاذ شكري الفضلي لم يقطع، ولذا تردد في قوله، وإن العامة تنسبها إلى الفرق الأخرى لما ترى من التكتم، وليس ببعيد عنا مثل هذه النقولات بعد أن نرى صاحب كتاب الفرق بين الفرق ينسبها إلى بعض الغلاة»، ومؤلفه عبد القاهر البغدادي المتوفى سنة 429 هـ - 1037 م.

وأقدم نص وقف عليه في الكاكائية ما قصة صاحب (كتاب النواقض)، قال ما قال بلا تحقيق، بل لمجرد الكره، أو الاتهام من أناس لا يوثق بهم رموهم بما رموا،

⁵⁴ لغة العرب. ج8. ص372 وج6. ص264 وج3. ص308.

⁵⁵ لغة العرب. ج8. ص368 وص241.

⁵⁶ كتاب الفرق بين الفرق. ص252.

وكتاب النواقض أصله من تأليف معين الدين أشرف المشتهر بميرزا مخدوم الشريفي الحسيني الحسيني، كذا جاء في أصل الكتاب في المقدمة.

ويرجع إلى السيد الشريف الجرجاني في نسبه، وهو شيرزاي حنفي توفي سنة 995 هـ، أو سنة 988 هـ، على ما جاء في كشف الظنون، ج 1، ص 527 ووج 2، ص 617 وأول الكتاب: "نحمدك اللهم لا إله إلا أنت... إلخ". انتهى.

والنسخة الموجودة عندي كتبت في سلخ رجب سنة 1142 هـ، ومنه نسخة في المشهد الرضوي كتبت سنة 1012 هـ، (ج 4، ص 265)، وقد أوضح هناك عن أبيه وجده أنهما كانا وزراء الشاه إسماعيل الأول وأن والده وجده وعمه ممن تميزوا في العلوم العقلية وعمه السيد مرتضى، وبعد وفاة الشاه إسماعيل الثاني مضى إلى البلاط التركي، وسنة تأليف هذا الكتاب 988 هـ.

وفي أصل الكتاب سنة 987 هـ، وهو تاريخ (النواقض) كان مفتياً وقاضياً في العراق ومدرساً في المدرسة المرجانية ببغداد، ثم صار قاضي مكة أيضاً، وجاء في الكتاب أنه كان قاضياً ومفتياً في ديار بكر، والكتاب في رد الشيعة في مقدمة وثلاثة فصول وكشف مقال وخاتمة وذيل وإكمال، وجاءت الردود عليه في رقم 891 و1003 من خزنة المشهد الرضوي.

وهذا الكتاب لخصه وزاد عليه السيد محمد بن رسول البرزنجي، ثم المدني، أوله: "الحمد لله المنزل الكتاب على سيد الأحباب... إلخ، تم تأليفه في 7 ربيع الأول سنة 1097 هـ، وتوفي في غرة المحرم سنة 1103 هـ، وهذا نص عبارته، قال:

"ومنهم (يريد الغلاة) الكاكائية وهم يستحلون المحارم، وكل يجامع امرأة صاحبه مباحاً له، ولا غيرة لهم، ويبيحون للضيوف نساءهم، وفهم يوم في السنة يجمعون فيه نساءهم ومحارمهم، فيغلقون عليهم الباب ويظلمون عليهم المكان إن كان نهاراً، ويطفئون السرج إن كان ليلاً، ثم يمسك كل أحد من إلى جانبه سواء كانت أمه، أو ابنته، أو أخته، ويجمعون منيهم قليلاً قليلاً، يضعونه في طعامهم للبركة وتسمى هذه الطائفة، (السياة منصورية) أيضاً والسياء بابائية، والبصارولية.

ومن اعتقاد هؤلاء أن الله تعالى شأنه حلٌّ في علي، ثم في أولاده واحداً بعد واحد، ثم في شيخهم الذي يكون في الوقت. انتهى".

هذا ما قاله البرزنجي، والتعامل ظاهر فيه.

ومن الأمور الصعبة الوقوف على عقيدة عرفت بإلحادها أو نالت نقرة من عقائد المسلمين الشائعة ونكبت مرة أو مرات، وإن تستطيع المجاهرة بمعتقداتها فهي متكتمة قطعاً حتى في الأمور المعروفة عنها، والمشهورة بين مجاورها، وأقدم من عرفنا له ذكراً للفرق الغالية الخاضرة (صاحب النواقض) جاء في معرض الرد.

والملاحظ أن صاحب هذا: الكتاب من أنحائهم، بل إن رؤساءهم يتسبون إلى ما انتسب إليه من البرزنجية، ولا يبعد أن يكون ما رماهم به من استئصال المحارم ناشئ من التكتم والاجتماع خفية لئلا يطلع على أمورهم الدينية أحد، وإلا فلا عقل أن يصدر مثل هذا من أمة مسلمة لها عقل، ولعل نفرتهم من الرسوم الدينية دعا إلى القول عليهم بمثل هذه القالة، بل أن كل واحد منهم متزوج وله أولاد، وأسراتهم معروفة، فلا تطيل القول في الرد.

وهنا أعطانا أسماء جديدة فهم وهي (السياه منصورية)، و(السياه بابائية) و(الصارولية)، والتسمية الأخيرة معروفة، وهي من قبائلهم، ولا تزال إلى اليوم، وهي كاكائية، وما فيها من عقائد وأحوال توضح ما عند الكاكائية، و(سياه منصور) قرية من قراهم.

وفي ترجمة (جامع الأنوار) للبندنجي ذكر هذه النحلة.

ومن رأي السيد عيسى صفاء الدين البندنجي أن لا فرق بين الصارلية والنصيرية، أو أنه لا يرى الفروق بينهما كبيرة قال في ترجمته كتاب (جامع الأنوار) لمرتضى آل نظمي ما نصه:

⁵⁷ نقلاً من كتاب النواقض المذكور وهو مخطوط عندي نسخة منه.

"وليعلم أن فرقة من الملاحدة الضالة المضلة الخارجة من الفرق الثلاث والسبعين؛ لأنهم ليسوا من أمة الإجابة، الشهيرة في السنة العوام (الصارلية والنصيرية)، يقولون بالوهمية بهلول كما يقولون بالوهمية علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ولهم عقائد تشتمل منها الطباع وتستكشف عن استماعها الأسماع، (منها) اعتقادهم بأن الإله لا بد أن يحل في صورة من صور البشر، ويدخل في قالب من قوالبه، ففي كل عصر من الأعصار يخرج من بدن بموته أو يفقده ويدخل في آخر في زمن موسى كان قد حل في موسى، وأشنع منه قول بعضهم بحلوله في فرعون، وفي يزيد بن معاوية.

وفي زمن عيسى حل في عيسى، وفي زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) حل في علي وفي زمن بهلول حل في بهلول، وهكذا فكل ولي كان أكثر خرقاً، أو كل ملك كان أكبر شوكة وسطوة للعادة فهو الإله عندهم - تعالى الله عما يقول الظالمون - (منها) اعتقادهم أن الشيطان هو جبرائيل، وهو وبقية الملائكة المقربين لهم الحلول في الأبدان في كل عصر من الأعصار، دائرين مع الإله يصون البشر، ولكل واحد منهم يسمى به في كل عصر.

و(منها) اعتقاد بعضهم أن نينا، بل كل نبي من الأنبياء (عليه السلام) إنما هو واحد من أولئك المقربين، وقد حل في صورة البشر، وأما بعضهم الآخر فينسبون الأنبياء - وأستغفر الله - إلى الإضلال والإغواء، ويقولون: إنهم أتوا من عند أنفسهم بما يخالف الحقيقة يعيّنون حجتهم الباطلة، وطريقتهم العاطلة، و(منها) اعتقادهم بالقرآن أنه نظم ألفه النبي للحفظ. انتهى .

⁵⁸ جامع الأنوار، ص 479 وهو المنقول إلى العربية، نقله إلى الأستاذ عيسى صفاء الدين البندنجي المتوفى في 17 رجب سنة 1283 هـ - 1866 م. وعندني نسختان منه إحداهما قديمة. كما نقله السيد أحمد ابن السيد حامد الفخري الموصللي. وعندني نسخة قديمة منه، وأصل (جامع الأنوار) باللغة التركية عندني نسخة مخطوطة قديمة منه.

وهؤلاء جميعاً يقال لهم (الباباوات)، والصحيح الرؤساء منهم فأطلق على الكل، ولا يعرف الفرق بينها، وقد ذكرت أنهم (البابائية)، وهم يميلون إلى الغلاة فلا يبعد أن يتصلوا بالنصرية، اتصال مبدأ، وأكثرهم في المواطن التي تقدم الكلام عليها، وأيد المؤرخون أن أهل هذه النحلة من النصرية أو من على شاكلتهم من الغلاة، جاءت إلى الأناضول من سورية، ولا شك أنها دخلت هذه الطريقة فبدلت معتقدها.

والمرجح أنها اليوم لا تختلف عن النصرية في عقائدها، بل إن السياحين لم يفرقوا بين الكاكائية والقزلباشية وأمثالها، وإنما يطلقون على الكل (على اللهية)، ويعرفون مثلهم بالحلل والموحدة كما ذكرهم المثنى البغدادي في رحلته.

والمسموع عن المجاورين للصارلية في أنحاء طابوق وقرب طوزخور متو أنهم يحكون عن عبد الرحمن بن ملجم حينما قتل علياً (رضي الله عنه) أنه قال له: أين أهرب؟ فأجابه التف بالحصير تنج (صارل) والقائلون بهذا يقال لهم (صارلية) أي (أهل اللغة)، ومن هنا تبلد انتسابهم إلى عبد الرحمن بن ملجم ومن لا يعدون (كاكائية)، وهؤلاء مراسم عزاء في عشرة عاشور، ويصبغون أثوابهم في المحرم، فهم شيعة في الظاهر، ومتسترون بها.

وهناك من يقول: أصل صارلية (صارل إلى الجنة) فخففت شاعت بهذه الصورة، ولكن هذه الأقوال لا تدخل في البحث العلمي ولا تقوى عليه من جراء أن (صاره لو) قبيلة من التركمان ولم تكن نحلة ولا طريقة، وذكرتها في (تاريخ العراق بين اجتلايين) وأن الجامع للقبائل من أرباب هذه النحلة (الكاكائية).

وعلى كل حال كان رميهم بما عزاه إليهم الشيخ رضا الطالباني في قصيدته
الكردية مبناء النصوص المتقولة والشيوخ جاء من هناك، والكتاب المنقول منه
(النواقض) معروف منتشر في تلك الأنحاء وفي مواطن كثيرة، كما أن جامع الأنوار
معروف، والملحوظ أنه لم يشاهد أحد اجتماعهم، ولم يعرف عنهم ذلك إلا عن
الأفواه، وتقطع في أن نساؤهم صاحبات عفاف، وأن المرأة التي يظهر عليها شيء
من ريبة تقتل في الحال، ولم تشتهر امرأة من نساؤهم بسوء حالة، فلا نراهم في العراق
أهل إباحة، وفي أنحائنا لا يسوغون الزواج بأكثر من واحدة مما ينافي الإباحة.

الكاكائية - البكتاشية

لا نفرق بين البكتاشية والكاكائية في أمر، ولكن الكاكائية ينكرون أن يكونوا منهم إلا أنهم يحبونهم ويحنقون على من يعتدي عليهم أو يسبهم، وينقلون أن شيخ البكتاشية كانت له صحبة مع شيخهم، وهؤلاء لا يختلفون عن الحروفية، وقد أوضحت عنهم في (تاريخ العراق بين احتلالين) "، وكتب الكل واحدة، وذكرت في كتاب المعاهد الخيرية مباحث موسعة في البكتاشية وتكايهاهم، وكذا في (تاريخ العراق للعهد العثماني).

وإن السيد سليمان من ساداتهم يعد أعرف الناس بالبكتاشية، وأحوالهم، وكتبهم اليوم متشرة وعندني جملة وافرة منها.

⁵⁹ تاريخ العراق بين احتلالين. ج 2، ص 246 وص 45، وج 3، ص 45، و 126.

الطريقة السهروردية - الكاكائية

تكلمنا على الطريقة السهروردية في تاريخ العراق بين احتلالين، وفي (كتاب المعاهد الخيرية)، وعندنا العبدوسية مشتقة منها، كما أن (النعمة الالهية) منها ونسبت إلى نعمة المتوفى سنة 834هـ - 1430م وكذا الطريقة المسماة (البير جمالية) متفرعة منها ومنتشرة في إيران، ولا تزال آثارها هناك.

تقلبت هذه الطريقة أطواراً، ونالها التحول وأصلها الفتوة فنسبت إلى الشيخ السهروردي وشيوخ الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي معروفون، والآخذون عنه في إيران وفي العراق:

1- من أهل الطبقة الأولى:

(1) الشيخ شمس الدين صفي.

(2) الشيخ عماد الدين أحمد ابن الشيخ شهاب الدين السهروردي.

(3) الشيخ نجيب الدين علي بن بزغش الشيرازي المتوفى سنة 678هـ، (غالب الآخذين عنه) من أهل إيران.

2- ومن أهل الطبقة الثانية الآخذين عن هذا الأخير:

(1) ابنه شيخ ظهير الدين عبد الرحمن المتوفى سنة 716هـ.

(2) سعد الدين محمد بنت أحمد الفرغاني المتوفى في حدود سنة 700هـ، وله:

(شرح تائية ابن الفارض ونصوص الكم).

(3) إمام الدين محمد، تتصل به سلسلة (بير جمالية) من مشتقات السهروردية.

(4) الشيخ نور الدين عبد الصمد الأصفهاني النطنزي المتوفى سنة 699هـ

(وغالب الآخذين عنه كانوا إيرانيين).

3- ثم جاء رجال الطبقة الثالثة، فأخذوا عن الأخير:

(1) نجم الدين - محمود الأصفهاني.

(2) كمال الدين عبد الرزاق الكاشاني المتوفى في 3 المحرم سنة 736 هـ، وهذا انتشار على يده الغلو في العقائد، ومن مؤلفاته شرح الفصوص، ومصطلحات الصوفية، وشرح منازل السائرين.

(3) عز الدين محمود بن علي الكاشاني المتوفى سنة 735 هـ.
ومن مؤلفات عز الدين محمود:

1- مصباح الهداية في إيران سنة 1323 هـ، ش، بمطبعة المجلس بتصحيح الأستاذ جلال الدين همائي من أساتذة الجامعة، وقدم له مقدمة وعلق عليه بتعليقات مهمة ونافعة جداً.

2- شرح القصيدة الثائية لابن الفارض وسماه (كشف الوجوه الغر لمعاني نظم الدر)، وطبع هذا الشرح في طهران سنة 1319 هـ، إلا أنه نسب إلى عبد الرزاق الكاشاني غلطاً للاتباه بالنسبة.
ومن الكتب المثيرة بمصباح الهداية:

1- طريقتنا: منظومة لعباد الدين علي الكرمانى المتخلص بـ (عباد) المعروف بالعباد الفقيه، وتوفى سنة 773 هـ.

والتصوف في القرن السابع وما بعده تأثر في الأغلب بالسهروردية، فنالت هذه الطريقة انتشاراً إلا أنها في حالتها الأولى لم تخرج عن تصوف أهل الغلو على يد محيي الدين بن عربي المتوفى سنة 638 هـ، وعلى يد المتصوفة الآخرين مثل ابن الفارض المتوفى سنة 632 هـ، وجلال الدين الرومي المولوي المتوفى سنة 672 هـ، وعلى يد تلميذه صدر الدين القونوي المتوفى سنة 673 هـ.

تمتاز السهروردية بأنها زهد في تقوى وعمل بر، واتباع طريقته التي كان عليها الشيخ شهاب الدين، بل إن الطرق تمكنت في العراق في هذا النوع أعني (السهروردية) وهذه عملية شاعت في المئة السابعة والثامنة وما بعدها كما شاعت طرق الفلسفة، وظهرت في محيي الدين بن عربي وما يتصل بها من عشق ووجد وفي ابن الفارض، وجلال الدين الرومي من أرباب الفلسفة الغالية.

والطريقة السهروردية عملية كما أن تلك (عقيدة فلسفية)، ولكن التأثير على السهروردية كان كبيراً من تلك الطرائق الأخرى، ففي إيران أخذ عن السهروردي نجيب الدين علي بن بزغش الشيرازي المتوفى سنة 678هـ، وعن هذا أخذ نور الدين عبد الصمد الأصفهاني، وبعد هؤلاء أخذ عز الدين محمود بن علي الكاشاني فكتب بالفارسية مصباح الهداية، وكثيرون تأثروا بعوارف المعارف وبمؤلفات الشيخ السهروردي، فظهرت (طريقتناه).

ونقل عوارف المعارف إلى الفارسية من ظهير الدين عبد الرحمن الشيرازي المتوفى سنة 716هـ، ومصباح الهداية لعز الدين محمود الكاشاني، ونظمه لعباد الفقيه المتوفى سنة 773هـ، وهو عباد الدين علي الكرمانى المتخلص بـ (عباد) أو (العباد الفقيه) في كتابه (طريقتناه).

وفي بغداد شاعت الطريقة السهروردية كثيراً، بل في أنحاء العراق، وفي كردستان أكثر، وهي طريقة تصوفية عملية كما انتشرت في إيران إلا أن المؤلفات الأخيرة دخلتها عقائد الغلاة في العراق وفي إيران معاً، بدت في أواخر المئة السابعة وفي المئة الثامنة على يد كمال الدين عبد الرزاق الكاشاني ومن تلاه، فدخلت في السهروردية عقائد محيي الدين، والحلاج وسائر الغلاة وكانت مؤلفاتهم متشرة بالخفاء تارة، وعلناً أخرى.

والكاكائية بلا ريب تأثروا بهؤلاء، ونهجوا نهجهم والملاحظ أن الكتب الفارسية أثرت عليهم أكثر من غيرها فتباعدت عن طريقة السهروردي ودخلت في حضيرة الغلاة، والطبقة الثالثة من رجال السهروردية في إيران انتقلت إلى غلو.

ثم ظهرت (كتب الغلاة) بكثرة، بل انتشرت شروح الفصوص وكتب كما الدين عبد الرزاق الكاشاني فدخلت هذه الطريقة، فخرجت بها معنى تلك الوجهة التي كانت متأثرة بالرسالة القشيرية وبإحياء العلوم، ويقوت القلوب، وأمثال هذه، فظهر بابا ركن الدين مسعود بن عبد الله البيضاوي المتوفى بأصفهان سنة 769هـ،

وكان مما ألفه شرح القصص، وشرح الصحيفة السجادية وترجمة تاريخ الطبري وتفسيره.

ومن جهة أخرى شاعت ترجمة (عوارف المعارف) لظهير الدين عبد الرحمن ابن علي الشيرازي، و(مصباح الهداية) ترجمته أيضاً بتصرف لعز الدين محمود الكاشاني، ويصح أن تعد هذه المؤلفات مبدأ دخول الغلو في الطريقة السهروردية، فليس من المستبعد أن يدخل الكاكائية الغلو، فصاروا لا يعدون في الظاهر أصحاب طريقة، بل من رجال العقيدة (العلی اللہیة) ولكن آثار هذه الطريقة واضحة.

هذا والنعمة اللہیة، والبر جمالیة لم تحتقنا بأصل السهروردية كما أن العیدروسية لم تنتشر كثيراً ولا استقرت في العراق خاصة، وإنما دخلها الغلو، فعادت لا تختلف عن الكاكائية إلا أننا توجه اللوم على الكاكائية على الكاكائية مع أننا نرى رجال هذه الطريقة خرجوا بها يزيد على ما عند الكاكائية، ومن الضروري أن لا تستغرب منهم فعقائدهم عين عقائد الغلاة من أصحاب هذه الطريقة في إيران والعراق، وموضوعنا خاص برجال هذه الطريقة، والنحول في عقائدهم وميلهم إلى نحل الغلاة في التصوف يرجع إلى هذا العهد، وبعد القرن الثامن مبدأ هذا التحول، بل التأثير نشأ قبله بقليل.

القرلباشية والكاكائية

طرق المتصوفة في العراق لا تحصى عدداً، ويهتما ما يقارب الكاكائية، أو كان يعد من نوعها، وكل واحدة تستحق العناية والاهتمام، وتحتاج إلى بحث وتحقيق كبيرين إلا أننا لم يكن من موضوعنا الآن الاتصال بهذه الطرق أو النحل من كل الوجوه، وإنما نريد أن نعين العلاقات بها وبيان مكانتها التاريخية، ووجوه انتشارها وتطورها دون توغل في أمر الرد، أو التنديد، فإنه ليس من شأننا، بل أن العراق في حاجة إلى أن يكشف عن نحل القطر وعقائده.

واليوم لا مجال للتعرض بأهل العقائد والتنديد بها، أو الوقعة، فلكل حرية اعتقاده على أن لا يفسر بالآخرين، ولا تنتهك حرمة أدبائهم أو عقائدهم بأهل العقائد والتنديد بها، أو الوقعة، فلكل حرية اعتقاده على أن لا يضر بالآخرين، ولا تنتهك حرمة أدبائهم أو عقائدهم بأن يتعرض لهم بسوء أو يدعو إلى أمور لا تليق، والعقيدة الحقبة بلا ريب تظهر على الكل، وتدعو للاهتمام وإلا كان المرء متابعاً في عقيدته متابعة عمياء، جاهلاً بما عند الآخرين، محروماً من المقابلات وسرقة الفروق وبالتعبير الأولى لا يسود أن يستخدم عقله كألة تفكير للاسترشاد وأن يقبل ما هو الصالح.

وكنت أوضحت أنني ليس في وسعي التخلص للنحل والفرق بمجموعها، أو بيانها كلها والعراق موطن الكثير منها، فلا تكاد تخلو عقيدة من أثر متصل في العراق ولا طريقة إلا ولها أصل أصيل فيه.

وهذه الطريقة أعني (القرلباشية) من (طرق الفتوة) لا تختلف عن الكاكائية، بل الواحدة توضح الأخرى، شاعت كثيراً وانتشرت وعرفت (بالطريقة الصقوية)، وكنت قلت في تاريخ العراق بين احتلالين ما نصح:

" الطريقة الصوفية: كانت من الطرق المعروفة، ولها منزلة مهمة في قلوب أتباعها، انتشرت انتشاراً هائلاً بين قبائل التركمان، والبلاد التي يقطنونها مثل أذربيجان وبلاد كثيرة، ورأس هذه الطريقة ومؤسسها الذي عرفت به هو الشيخ صفي الدين أبو إسحق، أحد أجداد الشاه إسماعيل، وعن شيوخ طريقته الشيخ تاج الدين إبراهيم الزاهد الكيلاني المتوفى سنة 700هـ، في سيارود من كيلان.

وتتصل طريقته بالغازاني وتنتهي في سلسلة شيوخ هذه الطريقة بالإمام علي (رضي الله عنه)، وكان الشيخ صفي في زمانه قد ولى الإرشاد ونال الموقع اللائق في قلوب المريدين، وعرف بذلك أيام المغول ولهم الاعتقاد التام به، وكثير من أقومهم ارتدعوا عن إيذاء الخلق، والتجاوز على الناس بسببه كما جاء ذلك في تاريخ كزیده⁶⁰، وكتب كثيرون في مناقبه، وبيان طريقته ومجاهداته.

ومن أهم هذه الكتب وأوسعها كتاب (صفوة الصفاء)⁶¹، وهذا الكتاب سمعت أنه طبع في الهند، ورأيت كتاباً يسمى (المناقب الصوفية) باللغة الإيرانية في التصوف، فكان عين (صفوة الصفاء)، وهو في مناقب صفي الدين في مجلد ضخيم جداً! يطلب في أوصافه وكراماته، وسائر أحواله من ابتدائها إلى انتهاء أيامه، وهو يساعد كثيراً لمعرفة طريقته.

والكتاب في مكتبة أيا صوفيا رقم 3099 وأعتقد أن هذا الكتاب فيه كفاية وغنى عن غيره لمعرفة هذه الطريقة، ومع هذا لا تزال معروفة، وفيها مدونات ورسائل تعين هذه الطريقة، وتسمى طريقة (شاه صافي)، ومن كتبها التي رأيتها مخطوطة (هداية) و(مرشد) و(بويرق) و(وحسنية) مكتوبة باللغة التركية الأذرية

⁶⁰ توفي سنة 735هـ.

⁶¹ لب التواريخ، ص 236 وكلشن خلفاء.

”مما تيسرت معرفته، وكلها لا تخرج عن مختصرات في التعريف بهذه الطريقة أو بيان مناقب الأئمة ولكنها لا تخلو من غلو.

توفي رأس هذه الطريقة الشيخ صفى الدين في 12 المحرم سنة 735 هـ، في أربيل ودفن بدار الإرشاد التي قام بتأسيسها ابنه الشيخ صدر الدين موسى، وأن الشاه إسماعيل هو ابن حيدر بن جنيد بن إبراهيم ابن الشيخ علي ابن الشيخ صدر الدين موسى المذكور.

والملاحظ هنا أن أصحاب هذه الطريقة متتبعين إليها تفادوا في سبيل نصرة مرشديهم وأولادهم حتى نالهم ما نالهم في حبيهم، لحد أن قسماً كبيراً منهم نجوا في الحب، وغلا في الاتباع، ولا أمضي دون أن أذكر بعض النصوص لتعرف درجة ما ساقط الحزبية إليه، وما أدت المفاداة بسببها، فصار يعتصم صنف من الناس من أصحاب هذه الطريقة (بالقزلباشة)”.⁶²

ويقولون بمراعاة هذه الطريقة بحيث صاروا اليوم لا يعلمون من العقائد والدين سوى ظواهر الطريقة، ودخلهم الغلو، وتجاوزوا حدود الشريعة أهملوها، وظنوا النجاح في الدار الآخرة في أتباع مراسم هذه الطريقة وأنه كاف وواف بالغرض، بل صار يقطع في أنه الموصل إلى النجاة.

خلفه في الإرشاد ابنه صدر الدين موسى وهكذا توالوا في طريق الإرشاد إلا أن هؤلاء قد دخلتهم أفكار جديدة أيام الشيخ جنيد، فقد كان هذا يحمل فكرة السلطنة والتسلط استفادة من نفوذه الديني ومكانته في المشيخة من مريديه وأتباعه، ولما شعر جهان شاه بذلك طرده وأباعه من مملكته، فذهبوا إلى حلب، ثم إلى ديار بكر وهنا نالوا احتراماً من حسن الطويل، فأكرمهم وأعزهم، وتصاهر معهم. فنالوا مكاناً

⁶² من هذه المخطوطات حسنية كتبت بالعربية وترجمت إلى الفارسية والتركية وعندني نسختها المخطوطة.

⁶³ جاء ذكر القزلباشية في كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام للقطب المكي.

أكبر، وذلك للخلاف بين جهانشاه والسلطان حسن الطويل، فأراد أن يستفيد من مريديه".

وكان الشيخ جنيد أيام وجوده في أنحاء حلب - على ما جاء في كنوز الذهب - يرمي بأنه شعشاعي المذهب (مشعشع) وأنه تهوك للجاعة، ونسبت إليه أشياء أخرى، وقد سكن كلز (كلس) وبنى فيها مسجداً وحماماً، وللناس فيه اعتقاد عظيم بسبب أبيه وجده، ويأترون بأمره ولا يغفلون عن خدمته، ويشابرون على لزوم بابه، ويأتيه الناس من الروم والعجم وسائر البلاد، ويأتيه الفتوح الكثير، ثم سكن جبل موسى عند أنطاكية هو وجماعته وبنى به مساكن من خشب، وفي الحملة كان على طريق الملوك لا على طريق القوم.

وإن ما نسب إليه دعا أن خرج إليه الناس إلى الجبل، فاقتلوا، وأسفرت الرقعة عن قتلى من الفريقين، فانسحب من الجبل إلى جهة بلاد العجم وأقام هناك، ثم خرج على بعض ملوكها فقتل، وقتل الناس وحملهم على الرفض وترك الجماعات ونكاح المحارم ويعرف بالشعشاع".

وقد مر ذكر الشيخ جنيد وأخلافه، ومن هنا علمنا أن فكرة السلطنة تولدت من هذا التاريخ ومن النصوص التالية ما يوضح أن الغلو حصل من الاتباع، وكان الشاه إسماعيل لم يرض به، وفي (تاريخ عاشق باشا زاده) "كلا لبعض رجاله مما يدل على الغلو فيه. انتهى. ج 3، ص 232.

⁶⁴ لب التاريخ، ص 238.

⁶⁵ كنوز الذهب في تاريخ حلب، منه نسخة في خزانة أحمد تيمور باشا وجزء في مكتبة كامل الغزي، وهو ذيل در الحبيب تأليف الشيخ الإمام المحدث موفق الدين أبي ذر أحمد بن برهان الدين إبراهيم بن محمد بن خليل الحلبي الشافعي سبط ابن العجمي. وتوفي سنة 884 هـ بحلب ويعد من مناصري الشيخ جنيد (راجع أعلام النبلاء) وكشف الظنون، ج 2، ص 377 طبعة إستانبول الجديدة.

⁶⁶ إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج 3، ص 56. والتفصيل هناك نقلاً عن كنوز الذهب، راجع وصفه في ج 1، ص 26 وج 3، ص 9 وفيه بحث مهم عن تسمي راجع ج 3، ص 15.

⁶⁷ تاريخ عاشق باشا زاده، ص 266 وما يليها.

وكل ما نقوله هنا: إن هذه الطريقة تصوفية في أصلها، من طرق الفتوة، والسياسة مصروفة إلى أن الشاه إسماعيل حارب المشعشين، ولكنه عاد فقبلهم لمجرد الطاعة والإذعان وإلا فإن الشاه كان من الغلاة، وإن مراجعة ديوانه تظهر أنه بلغ من الغلو ما يصح أو يدعى به (على الله)، وهذه تعد الأئمة الاثني عشر رجال طريقها، أولهم الإمام علي (رضي الله عنه)، ويسمون به (القرلباشية)، منتشرون في العراق وغيره دخلهم الغلو قبل الشاه إسماعيل، ولا سبب إلا دخول غلاة التصوف بين صفوفهم، ودخول المبالغة في إشعار المدح للآل، ثم انتشار شعر الغلاة، فتمكن الغلو فيهم".

والملاحظ أن الشاه إسماعيل الصفوي دخل بغداد في 25 جمادى الثانية سنة 914 هـ - 1509 م ومن ثم تمكنت هذه الطريقة في العراق بشكلها الغالي، وبقي أثرها إلى ما بعد الفتح الثاني، ولا تزال إلى اليوم، ويعد الشاه إسماعيل من شيوخها، وله ديوان لقب نفسه فيه به (خطائي) مملوء غلو رآتيه في إستانبول، وفيه قصيدة، بل قصائد في الغلو لا يقول بها إلا من اعتقد أن علياً (رضي الله عنه) إله، وفي آخره قصيدة جعلها مخومة بهذه الأبيات:

أي خطائي غافل أوله، أشبو دنيا هرتة كلديكم وجوده عالمات مهيايدر
بر كلامى ورد ايدنمك عارفك قبله كامهر محمد، يجده كامهر علي
فتراه في الدنيا يقول: إنها دار فناء ويعد فيها من أركان العارف أن يتخذ محمداً
قبلته، وعلياً سجده، وكل أبياته غالية، وديوانه من إلهام الحلاج ونسيمي، يصرح
بها في شعره ويردد اسميها، وهو ملهم آراء أهل الوحدة والاتحاد، متبع بها، وليس
فيه إلا الغلو، تجاوز الحدود المرسومة في الحب للأشخاص مما لا يأتلف والعقيدة
الحقة، نظم باللغة التركية، ولا يقل عن شعر نسيمي في بلاغته، وفي شعر هذا يلهج
بالأئمة الاثني عشر وينعتهم بما لا يصلح بشر.

وأرباب هذه الطريقة يقال لهم (الصوفية) (والشيوخ).

والظاهر أنها استمرت عندنا على ما كانت عليه في أيام الدولة الصفوية، وبدخلها العراق لم ينلها تحول أو تبدل، وأصلها (السهروردية) لا تختلف عنها بوجه الكاكائية، إلا أن هؤلاء سموها بـ (القرلباشية)، من جهة أن هؤلاء كانوا يلبسون قلائس حمراء.

ولا تختلف عن الكاكائية إلا برؤسائها، تمت إلى طريقة الشيخ صفي الدين الأردبيلي، ويسمونه (الشيخ صافي)، وترجع بسندها إلى الإمام علي (رضي الله عنه)، قبلوا ما كان قبله الكاكائية من نحلة وعقائد، ومختارات شعرية دون تفريق، وصار يعد بعض شيوخ الطريقة فوق البشرية، فعدوا الحب عبادة، وتجاوزوا فيه إلى الحدود والاتحاد.

وبعض الأفاضل الإيرانيين أراد أن يذكر الغلو بنقد لاذع في التسليم لبعض الأشخاص، وتوكيل الأمر إليهم فعد الغلاة أحراراً من التقيد بأي عقيدة أو دين، أو مراسيم عبادة وهكذا، فعدوا خالين من كل تبعة دينية.

ثم إن آخرين من الأفاضل أوضحوا لي أن هؤلاء لا يعتقدون بتوالي الحلول لكل أحد، وإنما يعتقدون بأن علياً هو (الله) شخصياً، وإن الحلول في غيره من أولاده وذريته أو غيرهم غير معلوم، ولا سند يدعمه، بل المعروف المنقول أنهم حلولية، يقولون بالوهمية كل من ناله الظهور، أو استحق أن يكون محلاً له بالوجه المذكور في الكاكائية بلا تفاوت أو فرق، ولا تعرف اليوم طائفة أو نحلة تقول بالوهمية الإمام علي (رضي الله عنه) وحده.

وهذه الطريقة كانت في أيام الصفويين، بل قبيل ظهورهم كدولة بقليل على أصل الغلو ونسوا ما قبله، فأدى بهم الأمر إلى أن يميلوا إلى الشعر الغالي، وفي العراق من مدة تركوا الدعوة إلى من يليهم، واكتفوا بما علموا، وإن الحوادث دعتهم إلى التزام التكتم، وبالتعبير الأولى أغفلوا المعرفة، فوقفت الطريقة، وصارت لا تبوح

بما عندها وساقطتهم إلى الاعتقاد بالشيخ القدماء وأنهم عمل الظهور، وجعلوا الطاعة لهم وحبهم ديناً، وكذا الحاضرون يتصلون بهم، ولا يعرفون غير ذلك.

رفعوا عنهم التكليف، واستغنوا برجالهم، وأباحوا الخمر، ساروا سيرة الجاهالة المطبقة، أو أن لا يفكروا بدين، ولا واجب، تركوا أمر تحمل المشاق وعلوا العهدة على غيرهم من رجال الحلول، معتقدون الألوهية في كثيرين، وأنها تتناوب بين حين وآخر، ولكل واحد عهد، وكان في زمن ما (الإمام علي رض) ولكن ذلك شاع فقبل لهم (على اللهية)، وهكذا فعل (النصيرية)، فلم يبقوا عند الإمام واعتقاد الألوهية به وحده فإنه كان مظهرأ في وقت، والآن تعاقب آخرون وتبادلوها.

وصح أن نقول: إن الكاكنية سموا أنفسهم (أهل الحق)، وكذا هؤلاء لا يختلفون عنهم بوجه إلا أن الرؤساء يختلفون عن أولئك أو شيخ الطريقة غير شيخهم.

وكل ما نقول في هؤلاء أنهم لم ينظروا إلى تجدد الآراء اليوم، وإن الحلول أو الوحدة والاتحاد لا يقول بها فيلسوف، وإن (الأفلاطونية الحديثة) قُضي عليها كما قُضي على فلسفة أرسطو، ولم تدرس الآن إلا لمعرفة أمر تطور الآراء البشرية. ويمننا أن نعين كتبهم لتكون على بينة من الأمر.

1- كتاب المواهب السنية في المناقب الصفوية:

كنت وصفته في تاريخ العراق من نسخة رأيته في خزانة أيا صوفيا ونسخة أخرى مخطوطة أيضاً رأيته في بغداد سنة 1948 م، إلا أنني رأيت نسخة أيا صوفيا من زمان بعيد، ونشرت عنها في تاريخ العراق في المجلد الثالث، وسمعت أنها طبعت في الهند، ولم أر النسخة المطبوعة.

ولعل طبعها في الهند يدل إلى أن الحرية هناك كانت أوسع في بث العقيدة، أو بث مؤلفاتها فيما بينهم، فكان النشر في الهند خير تربة صالحة، وتيسر لتثبيت مؤلفاتهم كما أن العلي اللهية خاصة نشروا (ديستان مذاهب) هذه الغاية من المعرفة، وهكذا كان النشر بهذه الوسيلة لبث العقائد بين أهلها، لكنها حرمت الدعوة.

ويسمى هذا الكتاب بالمناقب الصفوية أو (صفوة الصفاء) ذكره خواندمير في كتابه حبيب السير، وكذا صاحب كشف الظنون، قال: ويسمى صفوة الصفوة.

ينبئ أوله عن موضوعه، قال:

"الحمد لله الذي تجلى لأوليائه... إلخ".

إلا أن نسخة بغداد ناقصة الآخر، وهي من تأليف توكلي بن إسماعيل بن حاجي الأردبيلي المشتهر (بابن البزاز)، وموضوعها: مناقب صفي الدين الأردبيلي، وبيان نسبه وطريقته وكراماته، وسائر أحواله حتى وفاته، ويعد هذا الكتاب من (كتب القزلباشية) أو المقبول منها عندهم، ويعين طريقة صفي الدين وسلوكه التصوفي، ولا شك أن المؤلفات أمثال هذا تكشف عن حقيقة طريقته السلوكية، ويعرف بمبدأ تاريخ دخول الغلو وكيف وصل إليهم، بل أوضحت في تاريخ العراق ذلك، وهذا الكتاب أول ما فيه أنه يمدح الله الذي تجلى لأوليائه، والتجلي هل هو ناجم إلا من طريق الحلول والاتحاد؟؟

ويهمنا تاريخ تأليف المواهب السنية، والتعرف لمؤلفها، ودرجة علاقته بالشيخ صفي الدين إسحق الأردبيلي، وهو معروف في كتب التراجم وذكرته في تاريخ العراق بين احتلالين في المجلد الثالث، باسم (المناقب الصفوية).

2- بو يروق:

وهذا أيضاً في المناقب الصفوية، وفي شرح الطريقة الصفوية أيضاً ولا يختلف عن سابقه إلا في أنه أكثر اختصاراً منه، وهو جامع أو صفوة والملاحظ أن بو يروق في الأصل أوامر أو ما ينطق به الشيخ أو رئيس الطريقة من شعر مختار وما مائل، إلا أنه سميت المناقب أو هذا الكتاب بهذا الاسم.

وهذا الكتاب يعين طريقة الشيخ صفي الدين كما تقدم، ويسمى كتاب مناقب الأولياء، ويبين أن شاء صافي (يريد الشيخ صفي الدين) قد ولد في حوران، وأن أباء أمين الدين جبرائيل، وكان عمره ست سنوات فذهب إلى خراسان، وجاور في مرقد الرضا، فبقي ثلاثة أشهر وثلاثة أيام، ثم سار على كميلان إلى الشيخ إبراهيم

الكيلاني، وهناك تلقى الطريقة منه، وكان شيخاً كاملاً، وبعد أن تمت للشيخ صفى الخدمة لمدة أربعين سنة توفي الشيخ الكيلاني، وترك ثلاثة بنين أحدهم حسن، والآخر حسين، والثالث علي، ولكن الشيخ إبراهيم لم يعهد بطريقته لواحد من هؤلاء الأولاد، وإنما عهد بها إلى الشيخ صفى، فصار شيخاً بعده وألبس الكسوة.

والشيخ صفى هذا قد خلفه ابنه صدر الدين، ثم ابنه الشيخ علي، ومنه صارت إلى ابنه الشيخ إبراهيم، وبعده الشيخ جنيد، ثم الشيخ صدر هؤلاء تولوا المشيخة في ديار كيلان وتعهّدوا الإرشاد، أما في بلاد الروم فقد عهدت مشيخة هذه الطريقة إلى (الحاج بىرام)، فتولدت هناك (الطريقة البيرامية) وهذه الطريقة معروفة في الجمهورية التركية إلى ما قبل إلغاء التكايا.

ولا يزال الروم يضمرون الحرمة للاتقة للشيخ صفى، ويعدون من أكابر شيوخ طريقته، وأنه كان يعد السبب في إرشاد الأشرار ذلك ما دعا أن يحترمه (تيمور لىك) في أيامه ويقدم له التعظيم اللائق، وعفا عن أسرى كثيرين من الروم بطلب من الشيخ صفى الدين، فكان هؤلاء الأسرى قد بقي قسم منهم في خدمة الشيخ وآخرون عادوا إلى ديارهم، فكان الشيخ موضع الاحترام والتوقير عندهم، ويعدون أنفسهم عتقاءه، ويعتبرونه أستاذهم ومرشدهم.

وأرباب طريقته بالنظر لتعاليمهم يعدون الشيخ صفى هو (علي) عن ذلك يجب أن لا يشك فيه، ومن هذا يفهم أنهم يعتقدون بالحلول، وأن علياً ظهر في الشيخ صفى، كما أن الله تعالى تجلّى في محمد، ثم في علي، ثم في الشيخ صفى الدين، ويزيد في غلوه في أن من اشتبه في أنه علي فكأنه اشتبه في محمد، ثم في الله، ويقولون: إن بكتاش ولي، وبأيرام ولي من أكابر المتصوفة المعترفة بهم عندهم.

ولا يقولون بالمفروضات، فصلاة الصوفي عندهم أن يأتي يوم الجمعة إلى دار (مرشدة) و(دليله) ويقدم لهم نذره، وقبلته أن ينظر إلى وجهيهما.

فينجو من كل جريرة ارتكبتها، ويستخلص من كل بلاء، ومن مقرراتهم أن يجب أحدهم الآخر، ومن مطالعة بويرق يفهم أن تعاليمهم بمثابة دينهم، أو هو طريقتهم التصوفية.

ومن تعاليمهم حب علي وأبنائه الأحد عشر، وأنهم حق، وعندهم أخو المعرفة، وأخو الحقيقة يجب أن يعرفوا، وعندهم أخو الشريعة، وبعده أخو الطريقة، ثم أخو المعرفة وبعده ذلك أخو الحقيقة، ثم مقام الأربعين إلى آخر ما هنالك من تعاليم مقررة وهي طريقة شاقة، وعندهم مرجحة على الدين، وإن الإمام علياً لم يسبح بها لمحمد، وهؤلاء غلاة في الأئمة، تجاوزوا الحدود إلا أنهم لم يكنوا كالكاكائية، فإن ارتباطهم بالآل كبير، ويلعنون الشيطان، وأمر الطريقة الشيخ صفى الدين.

وعندهم زيارة كربلاء يتم بها الإيمان، وتذهب الأدران والجرائر، وفي هذا الكتاب تعاليم كثيرة، ووصايا كثيرة لا يسع المجال أن نستوعبها، وفي هذه التعاليم لم يبق للشرعية حكم، ويقصدون بالشرعية ما يؤول إلى أمور تصوفية، ولا تختلف عن تصوف الغلاة إلا أن قدوتهم أهل البيت، ظاهرهم التشيع وساطنهم الغلو، في آخر هذا الكتاب يذكر التجلي، ويوضح أن الباري إنما تظهر صفاته في الأشخاص، ويندد بمن لا يعتقد بذلك.

3- حديقة السعداء:

من الكتب المتداولة فيما بين القزلباشية كثيراً، وهذا الكتاب باللغة التركية كتبه فضولي البغدادي الشاعر المعروف المتوفى سنة 963 هـ، نقله من الفارسية، وأصله روضة الشهداء لحسين بن علي الكاشفي المعروف بالواعظ اليهقي المتوفى سنة 910 هـ - 1504 م، على ما جاء في كشف الظنون، كتبه بالفارسية فنقل منه فضولي واقعة كربلاء، وزاد عليه، والكتاب مطبوع متداول، ورأيت من نسخة مخطوطة مصورة في تمثيل تلك الواقعة، وألوانها جميلة، وكانت كتبت ببغداد سنة 998 هـ، وعندي نسخة مخطوطة غير مقصودة كتبت سنة 999 هـ.

هذا، وقد ترجمت فضولي في كتاب الأدب التركي في العراق بتفصيل فلا مجال هنا للإطناب في ترجمته، وهو أقرب إلى الحروفية والكاكائية أو القزلباشية لعدم إمكان التفريق بين هذه الطوائف وشعره متداول بينها كلها، ونال مكانة في الأدب التركي فهو من أكابر المجددين فيه.

4- مرشد:

من كتبهم المهمة باللغة التركية، ويصرح في أوله بأن من طالع فيه واستفاد منه أن يدعو لي بالخير، وأن لا يبذله لغير أهله، وأن تقدسه لغير أهله ظلم، ويبدأه بفصل في الطريقة، وتكلم في الفتوة وسندها، والتكبيرات وأنواعها على ما يأتي من ذكرها، فأوضح فيه طريقة الفتوة، وهذا تأكد أن الكاكائية لا يختلفون عن القزلباشية بوجه، وعندي هذه النسخة مخطوطة، وهي من كتبهم قطعاً، وأوضح الفتوة والطريقة، والمؤاخاة، وتوسع في الإمام علي (رضي الله عنه) وفي سلمان وذكر جماعة.

وجاء في آخره: فرغ من تسويده مؤلفه العبد المفتقر إلى الله الغني السيد محمد ابن السيد علاء الدين الحسيني الرضوي القاضي الشافعي بروسة المحرومة في أوائل شهر صفر سنة ألف، كذا قيل، والكتاب لم يخرج عن كتب الفتوة الأخرى فلا تطيل القول بما يحويه.

5- حسنية:

وهذه قصة مناظرة كتبت باللغة العربية، وبالفارسية، وبالتركية، وهذه متداولة معروفة، والنسخة التركية منها جاء في آخرها أنها منقولة من نسخة كتبت سنة 935هـ، وهذه عندي نسخها الثلاث، فلا أطيل القول فيها، وفي هذه الرسالة إثبات الإمامة على طريقة الاثني عشرية إثبات مطالب تتعلق بهذا المذهب.

والحاصل أن كتب هؤلاء متيسر الحصول عليها، وعندي نسخ من هذا الكتب، ولو أوضحت ما في هذه لأمكن تأليف كتاب مستقل، ولعل الأيام تسهل البحث للمعرفة الموسعة، ولا أمل لنا إلا أن نعرف عن الطرق والنحل المتمكنة في العراق،

وقد صرحت مراراً أن لكل أحد عقيدته، والآراء إذا دخلها التمهيص توصل الناس إلى المعرفة الحققة.

وهنا لا أمضي دون أن أذكر نهاذج من أشعارهم، ومن أهمها شعر خطائي (الشاه إسماعيل الصفوي).

ومنها قول بعضهم بعنوان: "هو الأعلى":

جون ذات قدیر بی نظیر است علی بر خلق جها همه آمرست علی
در عالم لاهوت آمرست ومشاور در عالم ناسوت خبر است علی
حسب الأمر حضرت جناب مستعاب حاجي أديب آقا سلمه الله تعالى سنة

1313.

رأيت هذه الأبيات في لوح خطي جميل لم يذكر خطاطه، وملخص معناها:
إن علي هو الذات القدیر الذي ليس كمثلہ، وهو الأمير علی خلق العالم أجمع،
وهو أمير عالم اللاهوت والمستشار كما أنه الخیر بعالم الناسوت.

إن هؤلاء كتبهم منتشرة، أو سهلة الحصول، وأما الكاكاوية فكتبهم غير معروفة
يتكتمون بها في العراق، ولكنها منتشرة في أصل كثرتهم في إيران فلم يجد الباحثون
صعوبة في الحصول عليها.

قرى القزلباشية:

1- طاووق.

2- تسعين (تسين).

3- بشير.

4- تازہ خرماتو.

5- دوز خرماتو،

وفي قرى أخرى إلا أنهم في قلة كما في خانقين وقزلباط.

الكاكائية - الشبك والماولية والباباوات

هؤلاء الشبك من الطوائف المعروفة بغلوها في العراق، وتسكن في أنحاء الموصل، ومشتهرة كالكاكائية في لواء كركوك، فلا تقل عنها، واختلف عني أصلها، وتدعى أنها من الأنحاء الجنوبية من إيران، ويغلب على الظن أنها من (شبانكاره) ويقولون بأن لهم أقارب متصلون بهم إلى الآن، ولعل التأويل في التسميات واشتقاقها جاء بعد الوقوع، وبعد نسيان أصل الاشتقاق كما وقع ذلك في المصارلية (صاره لو) ومهما يكن فهي معروفة بهذا الاسم.

وهؤلاء في نحلته لا يفرقون عن (القلباشية) بوجه، ويخطئ من يعدمهم من غيرهم، بل إن طريقتهم (طريقة الشيخ صفي) أو كما يقولون (الشيخ صافي)، وكتبهم عين كتبهم، و(بوريوق) في مناقب الشيخ صفي من كتبه من المعتبرة المتداولة فيما بينهم، وهو من (كتب القلباشية)، وقد أوضحنا عن القلباشية وكل ما قلناه هناك نقوله هنا.

وهؤلاء لا يعرف سبب ورودهم ديار الموصل ولا تاريخهم، ولغتهم مزيج من الفارسية والكردية والعربية وقليل من التركية، وكل هذه نتيجة اتصال سابق أو لاحق، لكنها تختلف عن لهجة أكثر الإيرانيين، وذكر لي الأستاذ الدكتور داود الجلبي الكثير من أحوالهم وقال: يغلب على الظن أن هجرتهم أقرب للبلوشية، فإذا قال الشبكي لأحد: (تعال) قال: (بو) بدل (ييا)، وأقول: هذه اللهجة موجودة عند الجفاف وغيرهم عينا، قال الدكتور: ويسمع منهم كثيراً (جش مكرو) أي ماذا تعمل؟ أو كما يقول الإيرانيون: (جه ميكني)؟

والشبك شقر غير واضح الشقرة، قويو الأبدان، طوال القامة نوعاً لا يخلقون لحاهم، ولا يقصون شواربهم، فيرى الشعر قد ستر أفواههم، يسكنون القرى، ولا يوجد منهم من يسكن الموصل، وقراهم في بقعة تقع نحو الشرق من الموصل،

ويسكنهم في بعض القرى (الباجوان)، ولغتهم قريبة منهم لا تختلف عنها إلا قليلاً، ويقال: إن أصل (باجوان) (باجلان) ويراد بها (باج آلان).

ولكن اللغات الكردية عندنا في ألفاظ كثيرة تدعو إلى خلاف هذا التفسير، فقد جاءت ألفاظ كردية على هذا التركيب وهي على نظائر تلك، مثل (بازلان) و(ديمة لان)، و(كردلان) أي أرض التل، و(بيشه لان) محل الغابة و(قاميشه لان) الأرض القصيبة، و(تركلان) قرية في كركوك، وكل هذه تعني (لانه) عش، (لان) عرين، (لانسك) مهد أو بالتعبير الأولى يصاد بها المحل أو المسكن، و(باجلان) أصله (بازلان)، ومان وبان صاحب مثل قهرمان وما شابه، فالتعابير متقاربة، ويراد بها ألفاظ كردية لا علاقة لها بالترك ولا بسادة (باج آلان) كما هو من رأي بعض الأفاضل، وتكلمت على قبائل باجلان في (عشائر العراق الكردية)".

وهنا أوردنا ما وصل إلينا خبره من آراء في الباجوان والباجلان معاً إلا أننا لا نزال نعتقد أنهم في الأصل ترك ودخلتهم اللغة الكردية عمزوجة بالفارسية والعربية بعامل الاختلاط، وقد علمت من عبد الله بك باجلان وهو أخو مصطفى باشا باجلان أن أصلهم ترك، ولا عبرة للتسمية، ولعل هؤلاء سمووا باسم المكان فصار علماً للقبيلة التي حلتها، وهذا شائع كثيراً.

وهؤلاء يسكنهم غيرهم من عرب وكرد.

وهذه أسماء قرى الشك الذين لا يتخالطهم أو يشاركونهم فيها غيرهم:

- 1- علي رش.
- 2- مناره شبك.
- 3- كبرلي.
- 4- دراويش.
- 5- طهراه شبك.

⁶⁹ عشائر العراق ج2 العشائر الكردية، ص183 وهناك ذكر قراهم في أنحاء خائفين.

6- باشيشه، باشيئة.

7- تيز خراب كبير.

8- خز نه تبه.

9- قره تبه شبك.

10- قره تبه عرب.

11- ينكيجه.

12- تيز خراب صغير.

13- خرابه سلطانه.

14- بدنه كبير.

15- باصخره.

16- الشيخ أمير.

17- بعويزه.

ومن القرى التي أغلب سكانها شبك:

1- طويزاوه شبك: ثلثها شبك، والثلث الآخر باجوان، عدد بيوتها 80 بيتاً.

2- بازوايه: نحو نصفها شبك، والباقي من عرب المجحيش ومن الكرد، هي

نحو 60 بيتاً.

3- أبو جريوة: أغلبها شبك، ومعهم من الداودة وهم سنة، وبيت هذه القرية

110.

4- بثر حلان: بينهم قليل من عرب الراشد.

5- جيلو خان: وتلفظ (أجلوا خان)، نصفهم شبك والباقي باجوان وهم 40

بيتاً.

6- أورنه خراب: نحو 150 بيتاً منهم 50 بيتاً من الباجوان.

7- عمر كان: فيهم قليل من الباجوان وتركمان شيعة، ويبلغون 80 بيتاً.

8- اللك: فيها باجوان وسنة وتبلغ 30 بيتاً.

9- تلباره: فيها سنة كثيرون من الشبك وهم 80 بيتاً.

10- طوبراق زيارة: كسابقتها.

11- بازکردان: أكثرها شبك والباقون باجوان.

12- كهريز.

13- بلوات.

14- تل عامود.

15- ترجلة.

16- قره شور.

17- جديدة.

18- بسطلي.

أكثر هذه القرى من الشبك، والباقي مختلط.

ومن القرى ما يقل فيها الشبك:

1- كوكجلي: فيها 200 بيت من الباجوان بينهم قليل من الشبك السنة.

2- كور غرييان: تبلغ 35 بيتاً الأكثر منهم شك وسنة، كانوا قبل نحو 80 سنة

عرباً من الجحيش فصاروا منهم من الشبك.

3- أربه جي: فيها نحو 4 أو 5 بيوت من الشبك.

4- عمر قابجي: فيها نحو الخمس من الشبك السنة.

5- زهرا خاتون: أقل من نصفها شبك.

6- جنجي: فيها 15 بيتاً بينهم بيت أو بيتان من الشبك.

وهذه القرى علمتها من الأستاذ الدكتور داود الجلي.

وعقائد الشبك وكذا الباجوان لا تختلف عن القزلباشية قطعاً، وبينهم من لم يكن على هذه العقيدة، بل هم من أهل السنة، ويدعى الشبك أنهم اثنا عشرية ولكنهم غلاة كالبكثاشية بلا كبير فرق، بل هم قزلباشية كما ذكرت، لا يصلون، ولا

يصومون، بل يصومون تسعة أيام من المحرم، لا يصلون؛ لأن علياً عليه السلام جرح وقتل وهو ذاهب إلى الصلاة، ولا يصومون؛ لأنه قتل في شهر رمضان.

أما الزكاة فإنهم يعطون للسادة من حاصلاتهم الخمس حق جدهم، ويؤدي للسادة الذين في قراهم، أما الحج فلا يقوم به منهم أحد إلا أنهم يذهبون قليلاً لزيارة التجف وكربلاء. وبعد أن تكونت السكة الحديدية كثر ذهابهم واتصلوا بمجتهدى الشيعة، فصاروا يميلون إلى الاثنى عشرية.

اعتادوا شرب الخمر، والمعروف أنهم لا يستنجون بالماء ويقولون: إنه مرآة نور الله فكيف يجوز أن نتجسه بهذا المكان القدر من أبداننا، ويعدون من المعيب جداً أن يأخذوا إيراً إلى بيت الخلاء ويسمون الإبريق (مسيئة).

ويقولون: حب على حسنة تحو كل سيئة، يحترمون السادة كثيراً فيتجاوزون الحد في هذا الاحترام، والذين يعلمون القراءة من السادة يقرؤون عليهم (بويروق) وهو بالتركية في مناقب (الشيخ صفى الدين الأردبيلي)، وليس لديهم منه إلا نحو 3 نسخ أو 4 نسخ.

أوضحنا عن البويروق، وعن الكتب الأخرى المعروفة بالقرلباشية وهؤلاء لا يختلفون عنهم، والباحوان في أنحاء الموصل قسم من الغلاة منهم على عقيدة الشبك بلا كبير فرق، بل إن تحلتهم متفقة معهم، وما جاء في لغة العرب بعيد عن التدقيق العلمي، وحكاية لا يقصد منها إلا إثارة الموضوع ليظهر من يكتب فيه، وقد علمنا أن هؤلاء الشبك والباحوان على طريقة الشيخ صفى الأردبيلي، وأوسعنا الكلام على القزلباشية وهنا لا يختلف عنه.

والماولية من القزلباشية وهم والشبك على طريقة واحدة، ويقال فيهم ما قيل في أولئك، ما جاء من أنهم من الكاكائية فغير صواب، فإن القزلباشية والماولية على طريقة واحدة، والظاهر أن هؤلاء ترك وحرف النسبة يدل على ذلك فيقال (ماولي) وهو (لى)، ويعدون من التركمان على أقوى احتمال.

ومثلهم الباباوات في سنجار، فإنهم لا يختلفون عن الشبك، واعدون من البكتاشية، ومنهم من يعدهم من الكاكائية، والفروق دقيقة، وربما كانت معدومة.

العلی اللہیۃ - الکاکائیۃ

العلی اللہیۃ یقال لہم (النصریۃ)، و(العلویۃ)، وجاء ذکرہم فی تاریخ العراق⁷⁰ وفي كتب الفرق الكثيرة، ويصعب التفريق بين هذه النحلة وبين الكاكائية، وسائر الفرق أو النحل المارة، كما أنه ليس من الصواب بعدها نحلة واحدة، بل التباين مشهود في أصلها، وتختلف الواحدة عن الأخرى.

وتاريخ ظهور هذه النحلة في العراق قديم جداً يرجع إلى أيام الإمام علي (رضي الله عنه)، وجاء ذكرها في أنساب السمعاني، ويظهر لنا اليوم أن الكاكائية لا علاقة لها بالنصرية، كما أن القزلباشية والشبك كذلك إلا أننا نرى آثار هذه النحلة بارزة فيهم، بل يصعب أن نجعل بينها تفاوتاً، وذلك للتوغل في الغلو، والاشتراك في مبادئه، وإن كان صعب علينا تاريخ تداخل هذه بالضبط، ومن محاولات كثيرة ونصوص مشتركة لا نجد الفروق كبيرة، وإنما الغلاة على نوع واحد من العقيدة، وإن اختلفت المظاهر، أو العلاقة بالرؤساء.

وهذا ما قصه ابن دحية في كتاب النبراس في خلفاء بني العباس في العلي اللہیۃ، قال ما ملخصه:

كانت في أيام علي بن أبي طالب (عليه السلام) طائفة أدعوه إلهاً، فعظم لديه أمرهم، واشتد عليه مروهم من الدين، وكفرهم، فاستتابهم من قولهم فلم يتوبوا، واستردهم عن دعوتهم فلم يرجعوا، فجعل لهم أشد عذاب، وعاقبهم بالنار، فازداد بذلك تعظيماً في أعين هؤلاء؛ لأنهم قالوا: لا يحرق في النار إلا رب النار، كما ثبت عن النبي المختار، فانتقل من إحراقهم إلى نفيهم عن مواطنهم، وخرج من الإحراق إلى نوع آخر من العقوبات في نفيهم عن أماكنهم.

⁷⁰ تاريخ العراق بين احتلالين ج2. ص180.

وذكر حديثاً عَيَّنَ سنده عن البخاري:

ثم ذكر بعده إحراق علي (رضي الله عنه) للقوم.

فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: لا تعذبوا بعذاب الله، ولقتلتهم كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم): من بدل دينه فاقتلوه.

قال ابن دحية: وعلي (رضي الله عنه) إنما حرق جثثهم بعد قتلهم بالسيف، ذكر ذلك الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد⁷¹، قال: وروى من وجوه أن علياً إنما حرقهم بالنار بعد ضرب أعناقهم.

وكان جاء ناس من الشيعة فقالوا: يا أمير المؤمنين أنت هو، قال: من أنا؟ قالوا: أنت هو، قال: ويلكم من أنا؟ قالوا: أنت ربنا! قال: ويلكم ارجعوا وتوبوا! فأبوا فضرب أعناقهم، ثم قال: يا قنبر اتنني بحزم الخطب، فحضر لهم في الأرض أخذوداً فأحرقهم بالنار وقال:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبراً

هذا ما عرف عن أول أمرهم في العراق، وجاء في (الطرق الحكيمة عن السياسة الشرعية) بيان لما يعمله الإمام في مثل هذه الأمور، وفي (كتاب السياسة الشرعية) لابن تيمية ما يكشف أيضاً إلا أن ابن دحية كان من رأيه أنه لا يجوز لمثل أول أمر من أمور المسلمين من إمام فمن دونه أن يحكم في قضية من القضايا بغير الحكم الشرعي، وعد ما يقال من أن للملوك إقامة السياسة كان غير صواب موضحاً أن لا سياسة إلا ما جرى على القوانين الشرعية.

ولو جاز لأمر السياسة أن تخرج عن أحكام الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم) لكانت (شريعة ثانية)، وذلك قول ينسخ الشريعة، ولو كان في السياسة ما يحتاج فيه إلى الخروج عن الشريعة لكانت ناقصة، وبعد كمال الإسلام بالنص فلا

⁷¹ منه نسخة في دار الكتب المصرية. وله مختصرات، ومنه نسخة في خزانة المرحوم السيد عبد الرحمن

دقيقة في الأحكام إلا وهي مبسوط عليها رداء الحكم الشرعي والنظر الديني والأمر الإلهي".

هذا قول صاحب النبراس بإجمال، وإن ما سباه سياسة فهو من الدين أيضاً وليس خروجاً عليه، بل سعة وإدراك للشرعية، وجاء في تفصيل ذلك في الطرق الحكمية وفي السياسة الشرعية: وإن عمل أئمة المسلمين قدوة لمن جاء بعدهم، وفيه من التصرف بالنصوص ما هو محمود يدل على تصرف في المجاري الدينية وإدراك لأغراضها بعقل وحكمة، أما الجمود فإنه ناجم عن التوغل في الوقائع الجزئية دون الثقات إلى عموميات الشريعة وأحكامها الشاملة ببصيرة.

ولا يزال الغلاة من على اللهية وغيرهم موجودين في العراق، فالطوائف الغالبة تسترت بأسماء جديدة، وكلها مغزاها واحد، وتقرب هذه النحلة الكاكاكية والقزلباشية وغيرهما في أمور كثيرة.

وكان على هذه النحلة في العراق كثيرون ومنهم الشيخ رجب النيرسي "على رأي أشهر العلماء ومنهم المشعشعون، ويقرب منهم الكشفية وغلاة التصوف وسائر الباطنية، وجاء في مؤلفات كثيرة ذكرهم، وتعرضت لهم في تاريخ العراق بين احتلالين" ونقلت ما في (كتاب دبستان مذاهب) من نص، ومثله ما ذكره الأستاذ المجلسي في كتابه (تذكرة الإخوان)، وقد سبق أن أوردت النص المنقول منه: "ومن النصوص الشرعية التي شاعت بينهم:

1- شهادتهم، قالوا:

أشهد أن لا إله إلا حيدر الأنزع البطين

⁷² النبراس، ص 107 وص 92.

⁷³ وله المشارق طبع في يومي في جمادى الأولى سنة 1303 هـ، ومؤلفاته كثيرة صاحب الفوائد

الرضوية الشيخ عباس القمي، ج 1، ص 179 وفي روضات الجنات أيضاً.

⁷⁴ تاريخ العراق بين احتلالين ج 2، ص 180 - 181 وج 3، ص 125 وص 156.

⁷⁵ تاريخ العراق بين احتلالين ج 3، ص 153.

ولا حجاب عليه إلا محمد الصادق الأمين
ولا طريق عليه إلا سلمان ذو القوة المتين

2- مما نقله الأستاذ الفاضل السيد أحمد حامد الصراف:

بينما الغرى فقد تضمن علة الـ إيجاد والسبب الذي لا يقطع
فيك انطوى هود لآدم يختفى ولصالح فيك ابن متى يتبع
فيك الصراط المستقيم وآية الدين المبين ومن إليه المرجع
يا من تسبح باسمه الأملاك في أفلاكها وإذا دعاهات سرع
سخرت أملاك السماء وشمسها منقادة لك ما تغيب وتطلع

وكذا نقل:

علي بشطر صفت الإله حيث وفيك يدور الفلك
ولما أراد الإله المثال لنفي المثال له مثلك
لقد كنت علة كل الوري من الإنس والجن حتى الملك
وعلمت جبريل رد الجواب ولولاك في بحر قهر هلك
ولولا الغلو لكننت أقول جميع صفات المهيمن لك

حدثني أحد رجال الكاكائية أن الفرق بينهم وبين النصيرية قليل جداً، وأنهم يشتركون معهم في كثير من المطالب وقد جاء في (روايمز الأعيان) أن النصيرية أميل إلى تقرير جزء إلهي في الأئمة، والإسحاقية أميل إلى تقرير الشركة في النبوة، ولكن اليوم لا وجود لهذه العقيدة عندهما، إنما أصابها التحوير والتعديل، والإسحاقية اليوم لا يقولون إلا في تقرير الجزء الإلهي في الأشخاص لا في الأئمة بعينهم، بل في الخلاج، وفي بهلول، وفي ابن العربي، وفي كثيرين، ويسمون السادة بـ (أولاد الأئمة)

ويحترمونهم لا لظهور جزء إلهي، بل لمجرد أنهم من أولاد الأئمة، ومثله في الملل والنحل للشهرستاني:

"قالوا: ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل، أما في جانب الخير كظهور جبرائيل (عليه السلام) ببعض الأشخاص، والتصور بصورة أعرابي والتمثيل بصورة البشر، وأما في جانب الشر كظهور الشيطان بصورة الإنسان حتى يعمل الشر بصورته، وظهور الحية بصورة بشر حتى تتكلم بلسانه، فلذلك نقول: (إن الله ظهر بصورة أشخاص)، ولما لم يكن بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أفضل من علي، وبعد أولاده المخصوصون هم خير البرية، فظهر الحق بصورتهم، ونطق بلسانهم، وأخذ بأيديهم.

فمن هذا أطلقنا اسم الإلهية عليهم لوإننا أثبتنا هذا الاختصاص بعلي دون غيره؛ لأنه كان مخصوصاً بتأييد من الله مما يتعلق بباطن الأسرار، قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر)، وعدا هذا كان قتال المشركين إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وقاتل المنافقين إلى علي (رضي الله عنه) وعده هذا شبيهه عيسى ابن مريم وقال: (لولا أن يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى ابن مريم لقلت فيك مقالاً).

وربما أثبتوا له الشركة في الرسالة إذ قال: فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، وإلا فهو صاحب الفعل فعلم التأويل وقتل المنافقين، ومكالمة الجرة، وقلع باب خيبر لا بقوة جسمانية من أدل دليل على أن فيه جزءاً إلهياً، وقوة ربانية، أو يكون هو الذي ظهر الإله بصورته، وخلق بيده، وأمر بلسانه.

وعدا هذا قالوا: كن موجوداً قبل خلق السموات والأرض، قال كنا ظلة على يمين العرش فسبحنا وسبحت الملائكة تسيحاً، فتلك الظلال والصور العرية عن الأطلال هي حقيقة، وهي مشرقة بنور الرب تعالى إشرافاً لا يتفصل عنها سواء كانت في هذا العالم أو في ذلك العالم، وعدا هذا قال علي (رضي الله عنه): أنا من أحمد

كالضوء يعني لا فرق بين النورين إلا أن أحدهما أسبق، والثاني لا حق به، وهذا يدل على نوع الشركة. انتهى.

وبلاحظ هنا أن الإسحاقية (الكاكائية) اليوم لا تقول بنوع الشركة، وإنما يعدون محمداً كبيراً، ولا يقولون بشركة ما، ولا أثبتوا رسالة، ولعل القارئ يقول: من هذا يعلم حيث أن لا فرق بينهم وبين النصيرية، فأقول: المعتقد مشترك ولا يكاد يفرق بين طائفة وطائفة، ومن ثم نعلم أنهم يقولون بالظلال والصور العرية عن الأطلال، وعندهم هي الحقيقة أو (الحق).

ومن ثم سموا بأهل الحق، ويقولون: إن إسحق (سلطان إسحق) أول من ظهر به الإله بعد الإمام علي، ثم توالى الظهور فيمن يعرفون ومن لا يعرفون، وفي (الملل والنحل) للشهرستاني ما هو عين المنقول عن (روامير الأعيان) وفي (دبستان مذاهب) ما يعين أو يوضح أكثر، وقد ذكرت النص المنقول منه في (تاريخ العراق).

وقد حصلت على منظومة عربية مخطوطة⁷⁶ للعلل اللهيّة أو النصيرية جاء فيها أن علياً (رضي الله عنه) متهى المطالب وملجأ النبي في النوائب، وأنه مرآة للذات قدماً وصفاته صفات الذات، وتفعل فعلها، وهي أشبه بالحديدة المحمّاة، ويصريحون في تلك المنظومة أن علياً ذات الرب، وهو الرب الجلي، والله تعالى باطن غير ظاهر، وأنه باطن محمد، وأن الدين ظاهر وعلي باطن، وهو الذي حارب على تأويله، فهو مظهر الإله، وهو المعبود، وهو الوصي الأزلي الأبدي ويدعو فيها إلى حب علي، ويلح ويبالغ في لزوم حب أولاده، وحب محبيهم، ويبيّن أن محب علي في الجنان ومبغضه غلغل في النيران ويعد أبناءه، وباقي أوصيائه الاثني عشر، يؤكد ما جاء في (دبستان مذاهب).

هذا، والعلل اللهيّة لا يختلفون عن الكاكائية، ولعل الاشتراك في أصول العقائد أدى إلى القول بأنهم غيرهم، ويتقل عنهم أنهم لا يقفون عند الحلول بعلي (رضي الله

⁷⁶ هذه المخطوطة رأيتها لدى معالي الأستاذ توفيق وهبي. ومن نسخته نقلتها.

عنه)، وإنما يرون سادتهم محل الظهور، أو ما يعبرون عنه بالخلول، وهكذا المسموع عن النصرية، ورؤساء الكاكائية في أنحاء كركوك، دخلتهم هذه العقيدة من طريق غلاة التصوف، ورؤسائهم سادة، ويؤكدون بأنهم مسلمون.

وهذا شأن غلاة التصوف، وهم أقرب إلى البكتاشية لا يقوم هؤلاء، ولا الكاكائية بالعبادات المفروضة، ولكن عقائدهم اكتسبت شكلاً خاصاً مما يعدمهم عن الإسلام، وهكذا يقال في القزلباشية، والمواطن متقاربة، وكذا العقائد.

ومن الغيلية قبيلة على عقائد الكاكائية يقولون: إنها من (العلی اللهیة)، وهؤلاء لا يفرقون عن الكاكائية، ولهم طعام خاص يقال له (جك لبلوران)، في محل يعرف بهذا الاسم، وهو (تل بلوران) والطعام الذي يصنعونه هناك يسمى (لقمة داود) يذبحون فيه الذبيحة، فيأكلون من مطبوخها يتخذون منه اللقمة، وهذه اللقمة عند البكتاشية أيضاً، ويشبهونهم من وجوه، وإن التل المذكور يقع شرقي صيمرة في محل يبعد عنها نحو 10 ساعات للراجل.

هذه حالتهم، وهكذا عند الكاكائية ما يعملونه من أكالات كهذه، ولم يكن مقصوداً على محل بعينه إلا أنهم في (دكان داود) يقومون بعين ما يقوم به أولئك وعقائدهم متفقة لا تختلف، ويجري ذلك في (ليلة الاجتماع).

ومن المهم بيانه أن خزانة كتب باريس الأهلية جمعت الكثير من كتبهم، وهي مهمة جداً لمن أراد التوغل وللأستاذ رنه (Rene dussaud) كتاب في العلی اللهیة (النصرية) طبع سنة 1900م، وفيه مراجع كثيرة من كتبهم، ولا شك في الموضوع على ما أعتقد لم يبق فيه خفاء وتكثير الأمثلة لا يفيد في زيادة المعرفة، وعندني كتاب للدروز رده صاحبه على نصيري سماه (رد النصيري الملحد) وفيه ما يعين أوجه الاختلاف بين النصيرية والدروز.

غلاة التصوف - الكاكائية

لا لوم على الكاكائية في غلوهم، فإنهم لا يختلفون عن غلاة التصوف، وهؤلاء دخلوا العقائد والنحل وتسربوا إلى الطرق من مدال كثيرة، وكتب غلاة التصوف بحثت فيها في موطن غير هذا، ومن أهم تدخلاتهم (الأدعية) الغالية، اختلقوا الكثير منها وبالسفاهة فيها فشاعت بين أهل السنة وبين الشيعة، وبين هذه الأدعية ما يصح أن ينسب إلى العلي اللهي، المطالب واحدة، وهؤلاء المتصوفة احتلوا التكايا، بل سيطروا على الكثير منها، ومن أهم ما تدخلوا فيه أو أدخلوه من عقائدهم كان من طريق هذه الأدعية، فتجاوزوا حدود الدعاء المشروع، ذلك ما دعا أن يجمع العلماء الأدعية المأثورة والمعروفة بوجه صحيح، فكتبوا رسائل ومجاميع لأمل أن تنال رواجاً دون تلك.

ومن أدعية الغلاة يفهم أنهم لا يختلفون عن العلي اللهي وعن غلاة التصوف ولا عن الكاكائية وأضرابهم، ومناجاة محيي الدين بن عربي، وكتب زيارات كثيرة بلغت من الغلو المنتهي، والتعرف لعقائد الغلاة من طريق الأدعية التي لم تكن من المأثورة يؤدي إلى الاتصال الوثيق بالنحلة أو النحل، ومنها يفهم تاريخ النفوذ والتدخل.

ولا ينكر الدعاء، بل هو مأمور به إلا أن تجاوز حدود المأثور منه يوقع في المهالك، وتاريخ الأدعية الغالية يدل على توغل عقائد أهل الإبطان بين ظهرانيها وعلى درجة إفسادها من هذه الطريقة، بل نراها عبادة أشخاص وغلو فيهم، بل صرف الناس عن العبادة والاستغناء بالأدعية، ولعل من أسبق الأدعية الغالية (مناجاة محيي الدين)، ولا شك أن التحقيق يجلو عن الغرض، وأعتقد أن هذه الأدعية بدأت بتاريخ ظهور أهل الغلو، واستمرت إلى أيامنا، فأعاد ذكرياتها (البهاء) في مناجاته.

وكتب الغلاة في الأدعية كثيرة ومتشعبة، وكذا (عقائد الصوفية)، كانوا يتكتمون بها، والآن ظهرت، فلم يبق خفاء أو تستر، وقد تكلمت عليها في موضوع خاص، فأكتفي هنا بالإشارة.

وهنا أقول: إن أهل (سركلو)⁷⁷، وهي قرية من ناحية سورداش على هذا الغلو، وتبعثها قرى أخرى مثل طورازاوة، وشدله، وعسكر، وأصل هذه نقشبندية الطريقة ورئيسها الشيخ عارف ابن عم السيد أحمد خانقاه، غلا فتبعوه، وكان من مريديه ملا رشيد وقد توفي الشيخ عارف، والآن خلفه ابنه الكبير الشيخ رضا، وهو مسموع الكلمة عندهم، ويقال لهم (أهل حقا).

ويقال: إن الشيخ عارف أدخلهم في هذا الغلو حذراً من تغلب يبشدر عليهم، والحال أن هذه الطريقة حلاجية تأثر صاحبها بالحلاج، وبين أهلها تعاون، ولا تختلف عن أهل الحق، علمت ذلك من كثيرين وقفوا على أحوالهم، وهذه صفحة من صفحات الغلو.

⁷⁷ سركلو، معناه (رأس المضييق) قرية معروفة. بل اشتهرت بهذا المعنى هذه الطريقة.

أدب الكاكائية - شعرهم

موضوع عزيز، ومطلب صعب، وغرض جليل في توضيح نزعات القوم، وآرائهم الخاصة سواء في عقائدهم أو في نواحي الاتجاه في الآراء.

ولعل في الكتب المنسوبة إليهم ما يعين وجهة أنظارهم، ويعد ذلك من خير المراجع وأخلصها في المعرفة، فلم يقفوا عند الشاعر المعروفة (هجري دده)، ولا عند غيره أمثال نسيمي، أو ويراني وأصراهم، فلأنهم يحفظون مقطوعات يسمونها (بويروغ) ويريدون ما يريده البكتاشية به (أنفاس)، وفي العربية يصح أن يعبر عنها بـ (ما تفضل به) أو (أمر به) ويقابلها (مختارات الشعر)، أو (مجاميع شعرية) إلا أن هذه خاصة بها تحمل آراؤهم، وينطوي على نحلته.

ولا نريد أن نعين ما هنالك من مقطوعات، أو تقرير شعراء، وإنما ذلك يخص (الأدب الفارسية) وشعر الإبطان فيها، و(الأدب التركية) وشعر (الطرق الغالية)، ولم يكن الهدف إلا تفهم النواحي الدينية من طريق الشعر، وأود هنا أن أقول: إن ما له مساس بهذه الناحية قد فصلته في تاريخ الأدبين التركي والفارسي في العراق، وكله لا يخلو من ذكر (وحدة الوجود) أو (الاتحاد) أو (الحلول) أو الإشارة إلى الحروفية ومطالبها، وقد تكلمت في (نسيمي)، و(فضل الله الحروفي)، وعينت كتبهم في (تاريخ العراق بين احتلالين) وكلها تعرض (للحروفية) و(العلل الإلهية)، ولا يخلو من اشتراك.

في المقطوعات المختلفة المنتشرة من ديوان ويراني، وديوان نسيمي، وديوان فضولي البغدادي وروحي البغدادي ما يعين (الفكرة الدينية) أو النحلة والطريقة، استدلالاً من شعرها، وفيها تنوع في البيان، وتبليغ للسامع من أقرب الوجوه، بل فيها كل البيان والإيضاح، وهذه طريقة مهمة في تلقين العقيدة ورسوخها، ولها مكانتها في التعليم، دون أن يحتاج إلى كتاب، ويلقن من طريق الشعر دون أن يكلف

بحفظ أو استظهار، وفيها ما يلفت الأنظار ويستدعي تبسيط العقيدة، سعى إليها رجالها سعيًا حثيثاً.

فإذا كانت عقائدنا مقصوراً تفهمها على العلماء، ولا تعرف إلا من طريق الدرس، وأنها فلسفية عويضة ومجاذلات مع الآخرين فمن الضروري جعلها بحالة أمام العين لا ترى فيها كلفة، فإن هؤلاء كانوا باتصال، ولا يزالون متصلين برجالهم يلقنونهم، ولم يلقنوا طائفة خاصة بخلاف ما عندنا فإن العلماء لم يكووا باتصال بالسواد الأعظم، ولا احتكاك به في تلقين بسائط العقائد، وهذا النقص مشهود في حين أن هؤلاء ينظمون بالعامية وينشرون آرائهم ويبلغونها بأسهل طريق.

وكل عقيدة لم تصل بالعوام تكون بعيدة عنهم، وتخص الطائفة المتعلمة، وتستوجب أن يكون أهلها جهالاً لها، وعادات العقيدة الإسلامية كذلك، فخلت من تعليم العوام وفقد العلماء قدرة التفهيم وأن يكلموا الناس على قدر عقولهم وفهمهم، في حين أن أهل الإبطان لم يتركوا مثل هؤلاء العوام، وإنما اتخذوا طريق التعليم بما يفهمون.

وقد قص على أحد العليّ اللهيّة ما عندهم من أشعار في معنى ما عند الكاكائية بلا فرق ولا اختلاف إلا أن هذا باللغة العربية وذاك باللغة التركية.

ويعرف اتصالها عندنا بما نتناوله من شعر فضولي، أو شعر روجي البغدادي ومن تلامها من سار على هذه السيرة، مما يتبادر أنها تصوفية، وهي لا تفرق عنهم.

فإذا علموا ما يتعلق بالإمام علي (رضي الله عنه) وطريق الاتصال به أمكن الانتقال إلى أرباب الحلول الآخرين، وكتب الفتوة لا تعيّن التفصيل، ولهم كتب مكتومة يتداولونها.

الفتوة - نصوصها

(بتلخيص)

علمنا تطور الفتوة، وأنها كانت طريقة (عمل الخير) ولم تمس الأصول الإسلامية، ولم تتعرض لها بسوء، بل كانت من أقوى مناصريها، ثم دخلتها عقائد غالية، فظهرت في الكاكائية كما ظهرت في غيرها.

وفي عصور المغول والتركمان، بل من أيام الخليفة الناصر انتشرت في الأناضول، ثم تولدت فيها فكرة الإبطان، وتلخص مطالبها في (العهد) من الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الإمام علي، ثم إلى سلمان الفارسي، بقيت ماهية هذه الطريقة مجهولة، تقبل كل تفسير، ثم روعي الشد.

وفي كتب الفتوة الأخيرة ما يوضح بعض المطالب السابقة، أو أن لها أصلاً، وهذه الكتب منها ما كتب باللغة التركية ولا تختلف كثيراً عما كتب باللغة العربية، بل إن كتبهم بمختلف العصور تعين التطور المشهود.

يطلب من المريد الطاعة، وأن يكلف بتكاليف شاقة، ويوصى بالكتان، وأهم أصل فيها امتثال الشيخ وتنفيذ أمره دون تردد، وهناك ما يؤخذ بالتدوين، وإذا كانوا بعد دخول الإبطان يخافون من أهل البلاد وبطشهم وأن تحترق عقيدة جماعتهم، فلا شك أن التخفي كان ضرورياً لنجاح دعوتهم، ومن أهم ما يركز إليه الطاعة والكتان.

شاع الإبطان فيها، فاتخذ وسيلة لإدخال ما يريدون من آراء، دامت هذه وتمكنت، وهم لا يزالون على كتبهم، وهكذا فعل غيرهم من الإسماعيلية على اختلاف صنوفهم حتى أيام سلطانهم وإبان قدرتهم، فلم يفسحوا عقائدهم، وكانوا يتسترون لخدمة هذا الغرض وأشعار الباطنية منتشرة بكثرة، ومن أهم ما فيها الدعوة إلى رفع التكاليف، وإلى وحدة الوجود، والاتحاد، والخلول، أو ما يعبرون

عنه بالتجلي، نرى فيها الدعوة إلى إصلاح الباطن دون الاهتمام بالرسوم وشعر الخيام، وإضرابه في مختلف العصور من مؤيدات ذلك، كانت أوضاعهم هذه مما يقضي منها العجب في جهودها، ومزاولة شأنها بطرق لا تخطر على بال، ويؤكدون في هذه الحالة أن لا يفضح السر.

وهناك غرض سياسي مالوا إليه بعد أن تمكنت الفكرة الغالية، وكثر معتقوها، ورأوا إقبالاً وشعروا بالقوة، فأرادوا أن يناصروا عقيدتهم بالسيف بعد أن رأوا ضعفاً في الحكومات، فكونوا حكومات في الأناضول، وزاد خطرهم من هذه الناحية، وحدثت وقائع مؤلة فانقرط عقد الجماعة، ونكل بها العثمانيون وتوالت عليها النكبات، ويقال: إنهم صاروا إلى العراق للنجاة من العسف والجور، وسموا باسم اشتق من لغة أهل المحل، ورأوا التربة صالحة استفادة من بساطة القوم، وصفاء قلب هذا الشعب وحسن نيته كسائر أهل البوادي.

نعم إن الاتصال غير مجهول، والنحلة واحدة، والملاحظ أن قدم هذه الطريقة معروفة في إيران والعراق، ويصح أن يكونوا قد لجؤوا إلى إخوانهم بعد تلك النكبات، ولكن هذه النحلة معروفة قديماً في العراق، ونحلة الإسحاقية تبدل اسمها إلى كاكائية، وصارت تدعى اليوم بـ (طريقة أهل الحق)، وهو موجودة قبل تكون العثمانيين، وعلى كل مات المطلب السياسي، وعاد لا يدخل أذهان الجماعة، ولا يتطليون النشر واكتساب آخرين من طريق الدعاية، وبث الدعة، فهم محتفظون بما عندهم، وليس لهم آمال أخرى.

ولا يتكر أن الطريقة، والنحلة قد تداخلتا، والمعروف اليوم أنهما جمعاً معاً، ولم يكونا كذلك، فالتصوص لا توضح ذلك والظاهر أن أهل النحلة قبلوا الطريقة.

ويهمنا أن نجمل المطالب المعينة في كتب الفتوة للعصور المغولية فيما بعدها، ولا تختلف إلا من ناحية التفصيل، والاختصار، واعتياداً على عدة نسخ تقرب ما بينها، وترمي كما قلنا إلى أسرين الطاعة والكتبان، ولم تتدخل في غريبها إلا بأمر ظاهري كما أن فيها ما يفسر بعض التقاليد والعوائد.

الفتوة وأركانها

-1-

الفتوة

1- الفتوة:

طريقة تصوفية معروفة مدونة، نحاول في هذا لعجالة أن نقدم تلخيصاً عنها ليكون المرء على أهبة من المعرفة.

وطبقات هذه الطريقة:

1- الأبوة.

2- الأخوة.

3- البنوة.

هذه مراتب أصحاب هذه الطريقة، و(البنوة) أعلى درجاتها، وتليها (الأخوة) وتشمل السالكين، ولا ينال كل منهم الأبوة؛ لأنها خاصة بالسادة، ولا يكون مرشداً إلا بعد أن يتخرج، ويكون أستاذاً في الطريقة ويصير رئيسها أو في درجته، و(البنوة) تطلق على أبناء السالكين قبل أن يدخلوها.

وكان لهذه الطريقة مكانتها العظيمة، وفيها ما يعين تقلباتها لمختلف العصور، وتسمى هذه الطريقة عند أهل خراسان وأهل العراق (قبلة)، وعند أهل مكة والمدينة المنورة (مقام الإنصاف).

2- عمن تؤخذ الفتوة:

إن تقيب هذه الطريقة يسمى (ترجمان القوم) ويقال: لم يكن مبلغاً عنه (لسان الترجمان) وهو (البيشدوش) في مصطلح أهلها، وتارة يقوم التركمان في التبليغ بنفسه.

3- أركان الفتوة:

إن الفتوة بما فيها الأبوة والأخوة والبنوة تلخص أركانها في:

1- العهد والميثاق.

2- الشد.

وعليهما تدور المباحث.

-2-

العهد

وهذا لا يختلف عن عهد الإسماعيلية والتحرز فيه من أن ييوح الداخل بما علم،
أو يفضح السر،

إن نقيب القوم يقف ويترجم، وأول ما يبدأ به (الفاتحة)، و(الصلاة على النبي
(صلى الله عليه وسلم)) ثم يقول:

- قبلتم نصيحة الترجمان؟

فيقولون:

- قبلنا!

وعند ذلك يقرأ الفاتحة، ويذكر المشايخ والصنائع، ويقول:

- أقسمت عليك بالله العظيم، وبموسى الكليم وبروح الله عيسى الأمين،
وبمحمد خاتم الأنبياء والمرسلين بأن لا تظهرها لغير أهلها ولا تمنعها من أهلها
لقوله (صلى الله عليه وسلم): لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها
أهلها فتظلموهم!

ومن هنا نشأ السر وحصل التكتم وأن لا ييوح أحديه.

والأنبياء أصحاب الطريقة:

1- آدم.

2- نوح.

3- داود.

4- إدريس.

5- شيث.

6- إبراهيم.

7- محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

وهؤلاء أصحاب العبادات السبعة، ومنهم أربعة أئمة الطريقة والخرفة، ولكل نبي منهم تكبيرة:

1- تكبيرة الرضاء - لآدم.

2- تكبيرة الفناء - لنوح.

3- تكبيرة الوفاء - لإبراهيم.

4- تكبيرة الصفاء - لمحمد صلى الله عليه وعليهم.

وقد شرح صاحب كتاب الفتوة هذه التكبيرات، وأوضحها إيضاحاً شافياً.

وأهل الإبطان وكذا هؤلاء حاولوا أن يلقنوا طريقتهم من نواحي تعليمية، وأهمها لا مساس له بأصل العقيدة، بل يراد به الامتثال للأمر، وطاعة الرؤساء، والتزام ما يأمر به وأن يكون مكتوماً، وغالب ما عندهم أن يشددوا التكبير في أمر العهد، وهذه مأخوذة في الأصل من ناحية حقّة، وهي: ﴿فَاتَّبِعُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [سورة التغابن: 15].

والفرق أن المسلم سامع مطيع لأوامر الله، مجتنب نواهيه ولا يلتفت إلى الأشخاص المعبر عنهم بالسادات والكبراء حذر أن يضلّوهم السبيل، ولم نر نهجاً مكتوماً، وإنما هو عام في جمع العالم، ولكن هؤلاء حصروا السلطة في الآباء (بابائية)، والأمراء السادات ووقفوا عندهم ولم تكن عندهم الطاعة محدودة، والانقياد مقصوراً على أمور محصورة، بل هناك طاعة عمياء، وإلا فقد كان الأولى لمن هذا

شأنهم في التعاون والتكاتف، وحسن العقيدة أن يملكوا العالم ويسيطروا على الباطل وأن يدحضوه ويزهقوه.

نعم إن البشرية في أعمالها أثبتت أن قبول الحق هو الخير المفيد، وإن التكاتف المجرد الذي لم يكن مقروناً بالتناصر للحق أو دفاعاً عنه غير معتبر، سواء في العقيدة والعمل مراعاة لأحكام الآية الكريمة ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [سورة المائدة: 2]

في شرح هذه التكبيرات في الحقيقة تعيين لما يقوم به هؤلاء من مراسيم ظاهرية تأييداً لهذه الطريقة بنسبتها إلى مشاهير الأنبياء، ويصح أن نقول: إن هؤلاء قد بالغوا في القيود والرسوم حتى كادت تبلغ مقدار ما هو معلوم من أحكام الشريعة إن لم تتجاوزها، ولما كانت ترى مجموعة وفي الوسع معرفتها دفعة واحدة فلا يضجر المرء من سردها.

وترك الشرح هذه التكبيرات قد يوقع في اللبس فيظن أن إهمال هذا لغرض كتم فوائدها وحرمان الناس منها، أو يدعوا حب التطلع إلى هذه المعرفة، وأتى مورد ما جاء عن كل واحدة باختصار!

1- تكبيرة الرضا:

كان آدم وحواء في الجنة، وقالوا وأنت عندهم الحلوى فأتاهم الشيطان فذمهم على الشجرة ودعاهم إلى أكلها، فكان ما كان من القصة المعروفة سواء في القرآن، أو في كتب التاريخ والسير، فتأب، وجاءته الملائكة فألبسته التاج على رأسه، وكسته (حلة الاصطفاء) وسميت (خرقة الفتوة)، وعند ذلك قال آدم: (الله أكبر) فصارت هذه تسمى عند أرباب الفتوة (تكبيرة الرضا).

قالوا: ثم إن جبريل صار معلماً لآدم، وميكائيل صر (الأب) لآدم، وصارت (الأخوة) من ذلك الوقت، وحيث أخذ الله من آدم (العهد) ومن ذريته الميثاق وكانت ذريته لا تزال في ظهره.

قالوا: ثم أخرج له مشطاً، مشط به رأسه، وقص أظافره، كبر تكبيرة واحدة، ثم أخرج لآدم سجادة الخلافة وأجلسه عليها، وأخرج له من الجنة جلاباً وعسلأً وخلط بينهما وعمل من ذلك (حلى)، وضعها في طبق وأعطاه لآدم وصار يلقم لقمة بعد لقمة فأكل منها وأطعم حواء، وباركت حواء لآدم، ثم بعد ذلك نزل جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ومعهم جماعة من الملائكة فباركوا وعادوا.

ومن هنا صار يراعى في الطريقة أولاً أن يخلق الرأس المريد، ثم يؤخذ عليه العهد بالتوبة ويلبس التاج، والخرقة، ويشد وسطه بـ (الشدة) ويعطى علماً يعني (شارة)، ويجلس على السجادة، ويطعم الحلى ويلقمون بعضهم بعضاً في المحفل، يرسلون الحلى من مكان إلى مكان، أو من مدينة إلى مدينة، ويعطون منها من كان حاضراً في الحفل، ومن كان منهم فصيح اللسان يترجم لهم بالطريقة والأركان ويقول: أعطي آدم الفتوة إلى شيث، وهذا أعطاها إلى أنوش، ومنه انتقلت إلى نوح (عليه السلام).

وهذه تفسر ما يقومون به من أكلة المحبة، وما هنالك من مخلفات.

2- تكبيرة الفناء:

وهذه تكبيرة نوح (عليه السلام) قالوا: إنه عاش بعدما نزلت عليه الفتوة (400) سنة، كان يدعو قومه فلم يؤمن منهم سوى 40 رجلاً و40 امرأة، وثم نساى: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [سورة نوح: 26]، فنزل جبريل الأمين وأخبره بخبر الطوفان فكبر، وسميت هذه التكبيرة (تكبيرة الفناء) يعني بأن الله أهلك أعداءه، وبعد ذلك أتى جبريل (عليه السلام) وجاءه بعنبتين من الجنة وخلط بعضه ببعض حتى صار مثل الحلى، وأعطاه لنوح (عليه السلام) فأكل منها وقسم الباقي على المؤمنين، ونوح أعطى الفتوة إلى ولده سام، ثم صارت تنتقل من واحد إلى آخر حتى وصلت إلى إبراهيم الخليل (عليه السلام).

3- تكبيرة الصفاء:

كان أمر الله إبراهيم (عليه السلام) ببناء الكعبة فأتاه جبريل وميكائيل وإسرافيل ومعهم عدد من الملائكة فشده جبريل لـ (شد) في وسطه فصار أباه، وميكائيل صار أخاه، وأتى جبريل إليه ومعه طبق فيه حلوى من الجنة فأكل الخليل وقسم على المؤمنين، ثم إن جبريل أراه موضع الكعبة فبدأ بعمارها، وأراد الله أن يعمر بيته، ثم أمر الخليل أن يقرب ولده إسماعيل قرباناً فلم تعمل فيه السكين.

وبينا الخليل متحيراً إذ هبط جبريل ومعه كبش من الجنة وقال: هذا فداء ولدك إسماعيل فقال: "لا إله إلا الله والله أكبر"، فسميت هذه التكبيرة (تكبيرة الصفاء)؛ لأن إبراهيم (عليه السلام) كان مكدر الخاطر، فلما جاءه الفداء حصل له الفرح والسرور بنجاة ولده، وأعطى الفتوة إلى إسماعيل، وما زالت تتقل من واحد إلى آخر حتى وصلت إلى عيسى (عليه السلام) ومن عيسى انتقلت إلى عالم الغيب.

هذا، وحكى قصة البيت وبناءه بالوجه المعروف تقريباً، ويجكون أن إبراهيم لما أراد أن يبنى البيت جاءته عجوز وقالت: لي شبر في هذه الأرض، وإن الله جلست قدرته لا يظلم مثقال ذرة، وكان بيتي هاهنا فأراد إبراهيم أن يدها حذر أن تكون عاصية فقالت له: إن ربي لا يظلمني في بناء بيته فهبط جبريل (عليه السلام) وقال: يا إبراهيم أعطها ما تريد.

فجاءت العجوز مرة ثانية فقالت: لا تبني في أرضي فقال لها: هل تقبلين مني عن أرضك الإبل والبقر والغنم مهما أردت فقالت: لا أقبل شيئاً مما ذكرت فقال لها: ما تريدين فقالت: إذا كان لا بد من أخذ الشبر من أرضي وإضافته إلى البيت الحرام فالشرط عليك أنك إذا عمرت البيت أن تسلمني مفاتيحه عوضاً عن أرضي، ويكون ذلك لي ولذريتي من بعدي إلى يوم القيامة، فقال لها إبراهيم: نعم فقالت له: عاهدني على ذلك، ومن ثم أتى جبريل وأمره بالعهد، وأذنت له بالبناء.

ثم ذكر عمارات البيت وبناءه سبع مرات، وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يأمر بمراعاة العهد وعظيم قدره، وتلا آية: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ

بَعْدَ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوْصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي
الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿[سورة البقرة: 27]

وعهود الفتوة:

- 1- من الله تعالى إلى جبريل.
- 2- إلى آدم.
- 3- إلى نوح.
- 4- إلى داود.
- 5- إلى شيث.
- 6- إلى إدريس.
- 7- إلى إبراهيم وولده إسماعيل.
- 8- إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) ومنه إلى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)
ومنه إلى سلمان الفارسي، ثم إلى من أخذ العهد والشدة من أصحاب الفتوة.
- 4- تكبيرة الوفاء:

وذلك أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أسرى به ليلاً بالوجه المعروفة وأكرم بها
لم ينله بشر ولا ملك، ورجع النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد جمع أسباب السعادة
في ليلته، ففرح بها أعطاه الله من الكرامة وقال: الحمد لله والله أكبر، فسميت هذه
التكبيرة (تكبيرة الوفاء).

وهذه تستند إلى أخبار غالبيتها ليس له أصل صحيح.

الشد

إن الطالب لأركان الطريقة عندهم يجب أن يعرف مذهبه ويتعلم ما يحتاج إليه في دينه، ثم يعرف شيخه ويمثل أمره في جميع الحالات، ويسأله عما يحتاج لمعرفة، فإن من حقوقه عليه امتثال أمره والسعي له، ومن حقه عليه الإفادة والتعليم والإرشاد، وأن لا يكتنم عليه شيئاً مما يحتاج إليه.

وأصل الشد أن يكون بعد العهد، ولا يجوز أن يكون شد بلا عهد، ويجوز أن يكون عهد بلا شد.

ويوضح الشد عندهم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لما حج حجة الوداع وعاد راجعاً إلى نصف الطريق إلى مكان يقال له (مطلع الغمام) أتاه الوحي ونزل قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [سورة المائدة: 67].

وفي الحال أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) أن ينصب له منبر من أقتاب الرحال فصعد المنبر وخطب خطبة بليغة، ثم قال: أيها الناس من أولى بكم من أنفسكم قالوا: الله ورسوله. فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): من أطاع مولاه واجتنب ما نهاه، ثم قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه واخذل من خذله، (ثلاث مرات) ثم قال: أنا وعلي من نور واحد، وعلي مني وأنا منه بمنزلة هارون بن موسى، اللهم أدر الحق معه حيث ما دار.

ثم قال: لكل نبي وارث وأنت يا علي وارث علمي وابن عمي وقائم مقامي، وأنا خاتم الأنبياء وأنت خاتم الأولياء وأمير المؤمنين، لا يحبك إلا المؤمن، ولا يعاديك إلا الكافر الشقي، ثم إنه صلى الله عليه وسلم حول وجهه نحو الصحابة، ثم قال: أنا خاتم المرسلين وأفضل الأنبياء، وعلي أفضل الأولياء، فقالت الصحابة: هنيئاً لك يا علي أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة فقال: يخ يخ لك يا علي.

ثم نزل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن المنبر وصلى ركعتين، ثم صلى الظهر وجلس وجلس الصحابة والأنصار حوله، ثم أخذ الحرام من على كتفيه بيده الشريفة وطرحه على السجادة، ثم عاد وقال: اللهم إني أشهدك وكفى بك شهيداً وأشهد رسلك وأنبياءك وملائكتك وحمة عرشك وسكان سمواتك وأرضك وما فيها من خلقك وما بينهما أنك أنت الله ملك قدوس لا شريك لك، جبار متكبر، خالق رازق، رقيب، رب كل شيء، تباركت وتعاليت عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

ثم أخذ الحرام وحطه على رقبة الإمام علي بن أبي طالب، ثم قال له: قم يا علي قدامي فقام الإمام علي قدام النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم): اجلس فجلس الإمام علي (رضي الله عنه) فقرأ النبي (صلى الله عليه وسلم): ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [سورة آل عمران: ٤٦]، ثم أخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) الحرام من على رقبة الإمام علي (رضي الله عنه) وشده في وسطه وقال له: يا علي هذا هو الشد الذي شده لي أخي جبريل ليلة المعراج في وسطي وأخذني إلى حضرة الحق جل جلاله، وأنا أشده لك في هذا المحفل.

ثم إن النبي (صلى الله عليه وسلم) دعا له وقال: الحمد لله الذي خلق آدم وجعله خليفة حكمه وأرسل إليه جبريل وشد وسطه بعد أن أخذ عليه العهد وأوصاه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم قال:

اعلموا يا أصحاب الفتوة الصراط ما يقطعه إلا الفتيان وكل كريم صادق اللسان.

وقال النبي عليه السلام:

اعلموا رحمكم الله أن الفتوة حائط الشريعة وهي شعاري وشعار الأنبياء والمرسلين وثمار الأولياء والصالحين من بعدي، وقال الله تعالى وهو أصدق

الْقَسَائِلِينَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَتُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران: 200] ثم إنه صلى الله عليه وسلم أخذ الشد وداره من الجانب الأيمن، ثم شده في وسط الإمام علي (رضي الله عنه) وعقده أول عقدة وقال:

الله أكبر بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله على التحقيق والتوفيق.

ثم عقد عقدة وقال: بسم الله على اسم جبريل، ثم قفل مهر النبوة وقال: بسم الله، ثم شكل رأس الشد وقال: مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله، ثم شكل رأس الشد الآخر وقال علي: ولي الله.

فعند أصحاب الفتوة يسمون ذلك مهر الشد، صم أخذ بيده المباركة تحت الشد وقال له: أتممت لك وأخيتك يا علي، ثم أخذه بيده وأجلسه على السجادة بين الصحابة والأنصار وهم جميعاً جلوس، ثم قال النبي (صلى الله عليه وسلم): هذا يوم المؤاخاة، تأخوا اثنين اثنين، ثم ذكر من أخى بينهما الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الصحابة، وقال: إن المؤمنين كلهم إخوان في الدنيا.

قال: فبكى الإمام علي (رضي الله عنه) وقال: يا رسول الله أنت آخيت بين الصحابة كلهم إلا أنا ما أخيتني مع أحد منهم فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): أنت يا علي أخى وابن عمي ووارث علمي ورفيقي في الدنيا والآخرة، وأخذ بيد علي وأخاه، ثم ألبسه عمامته على رأسه فوق التاج وجعلها تبين، ثم ألبسه (لباس الفتوة) أي خرقة الخلافة، ثم أجلسه على السجادة وأولاه الخلافة، ثم قال: يا علي هكذا افعل أنت بخليفتك في المحفل.

فعند ذلك قام الإمام علي (رضي الله عنه) وصلى قدام النبي (صلى الله عليه وسلم) 17 ركعة، ثم قام في الحال وأخذ الشد وشده وسط 17 رجلاً من الصحابة والأنصار، فأولهم سلمان الفارسي (رضي الله عنه) شده وأجازه، (وعدد الباقيين)

وذكر من ينسب إليهم من أهل الصناعات، والباقون ينسبون لسلمان الفارسي وهو شدهم، وعمادهم.

قال الشيخ محمد الرضا بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): ولما كمل الشد والعهد في حضرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) قرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [سورة البينة: 7]، ففرح الإمام (رضي الله عنه) وقال: الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): يا علي هذا الشد والعهد فانت باللقمة فقام الإمام علي (رضي الله عنه) ودخل الخيمة، وأخرج قمراً ووضعه بين يدي الرسول (صلى الله عليه وسلم) فعركه النبي (صلى الله عليه وسلم) بيده الشريفة بعضه في بعض، وفرق ذلك على الأنصار والمهاجرين، وعلى من كان حاضراً في ذلك المحفل.

ثم قال النبي (صلى الله عليه وسلم): هنيئاً لك يا علي أصبحت مولى كل مولى، ومولى كل من ومؤمنة، وجلس الإمام علي في خيمة النعمان بن الحارث فأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) الصحابة أن يدخلوا على الإمام علي (رضي الله عنه) واحداً بعد واحد يثنونه بالفتوة، فقام الصحابة والأنصار ودخلوا على الإمام علي (رضي الله عنه) وهنؤوه، وكل من دخل إليه وهنأه أعطاه النبي (صلى الله عليه وسلم) لقمة.

فصار هذا سبب حلوى العهد والشد وما بقي وضعه النبي (صلى الله عليه وسلم) في علبة، أعطاها لسلمان الفارسي وأمره أن يذهب بها إلى المدينة فأخذه سلمان وسار بها حتى دخل المدينة، وأعطاهما للحسن والحسين وأههما فاطمة الزهراء (رضي الله عنه) وكان سلمان (رضي الله عنه) يعمل ذلك الشد تعظيماً لمحفل النبي (صلى الله عليه وسلم)، وكذلك يفعل المشايخ وأهل الطرق وينقلون الحلوى من بلد إلى بلد ومن مكان إلى مكان.

هكذا يروون الأخبار، ولم يعرف لها أصل سوى البيعة المعروفة.

الطريقة والبساط

إن ما يترتب على الشيخ يشترط فيه أن يكون متكلاً بالشرعية والحقيقة والطريقة والمعرفة.

وأول مرشد جبرائيل، وشدته الملائكة المقربون، وثانيتها محمد (صلى الله عليه وسلم) وشده جبريل والثالث علي بن أبي طالب، والرابع سلمان الفارسي، والحسن والحسين شدهما سلمان أو سلمان هذا أبوهما في الشد والعهد، عندهم الشد لعلي (رضي الله عنه) واليد للنبي؛ لأن النبي بايع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح: 10].

والشد على قسمين: فوقاني جبريل في السماء، والشد التحتاني علي ابن أبي طالب في الأرض.

وأما أركان الطريق عندهم فإنها أربعة شرعية وطريقة ومعرفة وحقيقة، وأحرفها أربعة: جبريل وهجاؤه (ت) وميكائيل وهجاؤه (م) والحسين وهجاؤه (هـ) والرابع للحسن وهجاؤه (ن) ويريدون بهذه أصحاب البساط وصفاتهم، ورأس البساط تقوى الله، ووسطه حرمة الأستاذ وجوف البساط الخشوع بين أهل الطريق، ورجلا البساط الأدب في حضرة الأستاذ والاحتشام والامتناع للمسلمين، وفرضه الأستاذ المتكلم بالشرعية والطريقة والمعرفة والحقيقة ومسته الاعتقاد (بالاختيارية) أصحاب الطريق وعلى كل من كان صاحب البساط أن يكون متمسكاً بهذه الطريقة.

ومن فك الشد ونقض العهد فعليه الغضب من الله تعالى، ولا يجوز التهاون بالشد والعهد، فمن استهان به وازدراه جعله الله حقيراً في أعين الناس، ومن حفظه وعظمه رزقه الله البركة والحاج والقبول وإن المرء عندهم يجب أن يقدم إلى (ميدان

علي) ويحتاج للوصول ثلاثة جسور الأول الهوى حيثما كان أجيراً في الخدم وتلك الصنعة، والثاني القوى، والثالث اللواء حينها جلس على البساط بإذن أستاذه ورضا (الاختيارية).

وهناك نصائح يحفظونها بطريق السؤال والجواب لترسخ في الأذهان، وكلها مفيدة من جهة، وفيها بيان مقام الشيخ ودرجة الارتباط به فهو الكل في الكل، وطاعته هي المطلوبة أولاً وبالذات، وما المراسيم إلا أشكال ظاهرية مؤيدة لهذا الارتباط، والشيخ عندهم يسمى (البير).

وهذه الطريقة تعلم سلوكاً إسلامياً ممزوجاً بتشيع، ويذكر مطالب كثيرة يطرح بينهم كلمة للإمام علي بقصد تنبيه الأفكار إليه، مثل قوله: كيف دخلت ميدان علي وكيف خرجت؟ فالجواب دخلت تراب، وخرجت برضا الملك الوهاب ونفس أستاذي والأصحاب والأحباب، ويؤمر بترك الفواحش والحسد، وبالتواضع والخشوع والزهد والعزلة عن المحارم والتقوى، وترك الشهوات واجتناب المحرمات.

وعندهم أركان الشد: الجلوس بالمعرفة، والأدب بالامثال.

ومما يقرأ عندهم:

لي خمسة أرتجيه	وأترك السروح فيها
محمد وعلي	وفاطمة وبنيه

ومثله:

لي خمسة أطفسي بهم	نار الوباء الخاطمه
محمد والمرتضى	وابنهما وفاطمة

⁷⁸ شعر عامي ملحون.

⁷⁹ كنا.

وللنقيب السالك مراسيم أخرى يجريها، وذلك لإدخال من رغب الدخول في الفتوة، سواء من أرباب الصنائع، أو من غيرهم، ويسمى المدرب له بـ (النقيب) ونفس الداخل بـ (المشدود)، كما أنه يحسم الدعاوى، ويجيب على الأسئلة، وبعد أن ينفّض المجلس يرفع سجادة الشيخ.

هذه خلاصة مشتملة على العهد والشد، والطريق، وما يلزم الشيخ، والنقيب، والمشدود، نقلت من رسالة كتبت في 3 صفر سنة 1281 هـ.

وباقى الرسائل من هذا النوع، لا تفترق الواحدة عن الأخرى كثيراً فإنها متفقة المعنى ونزعتها واحدة، وبهذا تمكن هؤلاء من إذاعة الإبطان فأدخلوا ما أرادوا من طريق التكتم والسر.

خاتمة وصفوة

من العيب أن نثبت عبادات أو عقائد هذه النحلة غير الحلول والاتحاد والتناسخ كسائر أهل الإبطن، وإنما كانوا على طريقة أهل الفتوة، فدخله الغلو، وما لوا إلى عقائد الغلاة، أو أنهم عينهم بلا كبير فرق، يتلون مقطوعات شعرية كثيرة في وحدة الوجود، وفي الظهور، وفي ألوهية الأشخاص ولم يخصوا الإمام علياً بالظهور وحده، وإنما هم أدوار للظهور، ولا أعتقد أن قد بقي خفاء، أو غموض في عقائدهم، ومن الغلط أن ننسبهم إلى عقيدة قديمة، إنما دخلهم الغلو من الإسحاقية، وهي معروفة في التاريخ.

كانت جارية على مجرى الفتوة، ثم دخلها ما دخلها، ولا نفرق عن الأخية بوجه، بل عرفت بأشهر وصف بها (الكاكائية)، والطريقة لا يعرف بالضبط تاريخ دخول النحلة الإسحاقية فيها، ولا شك أن الزمن كفيلاً بالكشف عن هذه الطريقة وتاريخها عندهم، وأصلها السهروردية، وكانت مثلها (الطريقة الصفوية) فافترقت عنها برؤسائها، وإدارتها، والتقارب مشهود قطعاً، جرى تعديل فيها، والحق أن السهروردية معروفة في بلاد الكرد قديماً يرجع تاريخها إلى أيام الشيخ عمر السهروردي، فتحول وضعها، إن لم تختلف أصولها الرئيسية.

ولما كان التكتّم بحوطها، ولم يظهر الكاكائية مؤلفاتهم، ولم يعرفوا بتاريخ نحلته، ولا أصول طريقتهم فالشبهات تحوم، والتحقيقات يقطع بها من جهة، ويشبه بها من أخرى.

يتكتمون في كل ما يستكره المجاورون أو يرونه شاذاً، ويوضح عقائدهم الصوفية (العشق الصوفي) وأوصاف الجبال، ونعوت (الجلال) والأمل أن يوضح

أبناء هذه الطريقة وجهة نظرهم في هذا النوع من التصوف كما نرجو أن ينال هذا البحث من التمهيد ما يستحقه لتكامل المعرفة.

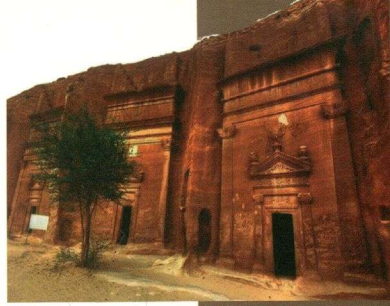
أقف عند هذا، والزمن كفيلاً بتوضيح الحالة أكثر، وإن هذه تجربة أولى، وإنني لا أتردد في قبول ما يرد من نصوص قطعية ووثائق صحيحة في الكشف لأبادر في إصلاح ما ذكرت، ولا أنطلب سوى المعرفة الحققة.

هذا والله ولي الأمر.

الفهرس

5.....	نظرة عامة
7.....	الكاكائية إجمال عنها
11.....	أقوال المعاصرين في الكاكائية
15.....	الكاكائية في التاريخ
19.....	الفتوة في عهد الناصر لدين الله الخليفة العباسي
25.....	الفتوة في العراق
27.....	الأخية في المملكة التركية
33.....	الأخية في العراق
35.....	الكاكائية في العراق
37.....	أمراء الكاكائية
41.....	قبائل الكاكائية
47.....	قرى الكاكائية
53.....	المراقد والمزارات المشهورة
57.....	الباباوات
59.....	هجري دده
65.....	كتب الكاكائية
69.....	عقائد الكاكائية
77.....	الإسحاقية
81.....	المؤاخاة
83.....	طبقاتهم وصفوفهم
85.....	اللعن والسب
87.....	أعيادهم
89.....	الزواج والطلاق
91.....	عادات بارزة

95.....	العبادات.....
97.....	نصوص منقولة عن المخالفين.....
103.....	الكاكنية - البكتاشية.....
105.....	الطريقة السهروردية - الكاكنية.....
109.....	القرنباشية والكاكنية.....
121.....	الكاكنية - الشبك والماولية والباباوات.....
127.....	العلی اللهية - الكاكنية.....
135.....	غلاة التصوف - الكاكنية.....
137.....	أدب الكاكنية - شعرهم.....
139.....	الفتوة - نصوصها.....
141.....	الفتوة وأركانها.....
153.....	الطريقة والبساط.....
157.....	خاتمة وصفوة.....



الكلام في العراق

العقائد غريزية، لا تخلو أمة من دين وعقيدة وضروب العبادات المشهوددة والرسوم الدينية في مختلف الأدوار والأقطار ظواهر تنبئ عن مكنون الفطرة، وميلها النفسي، وتصور حاجة الانقياد والإذعان للقدرة الخالقة.

ويهمنا كثيراً أن نتطلع إلى ما أظهرته الأمم والأقوام من شعور، وما كشفتته عن مكنون الغرائز، وهناك نشاهد تدخلات من الزعماء ورؤساء الدين في تسيير الجماعات استفادة من هذه الغريزة وتوجيهها أو استغلالها لما ظهر في رجالهم من الكمال، فاتخذوهم قدوة أو طريقاً مقبولاً في سلوكهم، بل مالوا إلى عبادة أشخاصهم، فصار ذلك ديناً، استولى عليهم الحب والإعجاب بهم، ثم وقفوا عندهم، فنسوا أصل العقيدة، أو غفلوا عنها، فصار الحب ديناً.

وجهودنا مصروفة إلى معرفة ما في قلوبنا من عقائد وأديان وطرق، وإلى تصوير هذا الشعور، وتعيين أوضاعه وإبداء أشكاله؛ ليكون أقرب إلى تفهمنا بتدوين الظواهر ممن هم أكثر اتصالاً بنا دون أن نعرف جميع ما هنالك من عقائد الأمم والأقوام، بل قد يكون ذلك غير متيسر، أو صعباً جداً.

ISBN 978-9933-543-05-1



9 789933 543051

Bibliotheca Alexandrina



1503534

تطلب في جمهورية العراق - بابل الحلة
المركز الثقافي للطباعة والنشر



Mob: 07801168410

Mob: 07721472444

E-mail: w. alsawaf@yahoo.com